الأخبار
al-akhbar

السبت 26 أيلول 2026
العدد 5885 السنة الحادية والعشرون
Samedi 26 Septembre 2026 no 5885 21ème année

www.al-akhbar.com

24 صفحة
100000 ليرة

كلمات

«بيت الشعر» يشقّ عصا الطاعة لا للتطبيع!

زيادة بدل النقل: ثمن 4 ليترات يوميا

8

الحاضر

الشهيد السيد حسن نصر الله (رسم احمد مغنية)

ذكرى

فيضُ شهادتِك... عَصفٌ تَحوُّلات

النائب محمد رعد *

عامان من عمر المقاومة انقضيا، وكأنهما الدهر، لما حملاه من مواجع وتحدّيات. وكان القَدَر قد خصّ أهلنا المؤمنين ومسار مقاومتهم بدورة مكثّفةٍ من التأهيل الخاص، يتناسب مع دورهم المأمول في ملاحقة الظلم والظالمين والفساد والمفسدين والاحتلالات والمحتلين وغصب الحقوق والغاصبين. وهو دورٌ صعب مستصعب، لا يقدر عليه «إلا مَلَكٌ مقرّب أو نبيّ مرسل، أو رجل امتحن الله قلبه بالإيمان»، كما ورد في كلام لأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

عامان من العُسر انطويا على يُسر مرتقب مأمول ينبلج فجره بفعلٍ الصبرُ والثبات والتضحيات. وفي اعتقادنا أن اليُسر لا ينتظر انتهاءَ العسر، بل يواكبه متحيّنًا اللحظة المؤاتية لتسطير صفحة وقائع جديدة، تخطّها إرادة الإنسان المؤمن بربّه والمتوكّل عليه والملتزم بضوابط سننه الإلهية المؤذية إلى التغيير والتطوير للفرد وللمجتمع نحو الأكمل والأزكى. هكذا هي دورة الحياة لدى المؤمنين الذين يرون ما لا يرى الناس.

■■■

عامان انقضيا، وسيد المقاومة يواكب من عليائه فعلَ الأعداء، وصنعَ المقاومين، وكيدَ المتآمرين وحالَ المستضعَفين المستهدفين من شعبنا المؤمن والعظيم.

عامان انقضيا بعد الاستشهاد، ارتسم خلالهما مساران متناقضان يتعاركان في واقع البلاد والمنطقة، وتتصادم رؤية كل منهما مع الآخر لصياغة الحاضر والمستقبل.

أحدهما: مسار إذعان لقوى التسلّط والطاغوت ووكلائهما، وقد تَعبّ روّاد هذا المسار وفريقهم من «أوهام» السيادة والاستقلال الوطني والقومي وأحلام العزّة والحريّة والكرامة الإنسانيّة، ويئسوا حدّ الازدراء والنفور من دعوات الصمود والثبات والانخراط في فعاليات الرفض للذلّ والدعم للمقاومة ومشروعها وأبطالها، ومن الرهان - كما يدّعون - على دورها وقدراتها القاصرة أو غير المتماثلة مع قدرات الأعداء والمحتلين، وخبرات اللصوص الدوليين ومروّجي الخداع والنفاق، بدءاً من زيف الاحتكام إلى القانون الدولي وصولاً إلى الكذب والتدليس بمرئيّة حقوق الإنسان.

ووصل بهم الزيغ حدّ استبهام مفاهيم المتسلّطين الناهبين في الغرب الاستعماري، والمروّجين لنزعة الأنانية والفردية اللاغائية، وللعنصرية المتوحّشة الحاضنة للرفاه القومي الخاص على حساب بقيّة شعوب العالم وسكان الأرض. لقد استزلّ الشيطان رواد هذا المسار وفريقهم، فأسقطهم في هاوية الإنكار والتبرؤ من أصولهم ومفاهيم الوطنية والكرامة وارتضوا لأنفسهم أن يصيروا خدماً للأوصياء والأدعياء ومشاريعهم.

أمّا المسار الآخر، فهو مسار المؤمنين بالله، المتمسّكين بانتمائهم وهويتهم الوطنية وإرادتهم الحرّة وكرامتهم الإنسانية، مع ما يستوجبه ذلك كلّه من همّة عالية وتحمّل للمسؤولية ورصّ للصفوف وصلابة في مواجهة الأعداء الذين يتوسلون القوّة المفرطة لفرض خياراتهم على الشعوب والدول، ومصادرة الأوطان والثروات، والتحكم في أنماط العيش والسلوك. هذا المسار، يصعب أن يثبت فيه، وأن يواصل السير في خطواته ومقاصده، غيرُ أهل الإيمان الحقيقي بالله وبالكرامة الإنسانية، والمستعدّين للتضحية بالنفس وبكل ما لديهم ومما يحبّون، في سبيل إحقاق الحقّ وإقامة العدل ودفع الظلم عن المستضعفين من الناس.

هؤلاء ليسوا لوحدهم، وإنما يحوطهم ويحتضنهم أهل الشرف والإباء من عامة الناس، الذين يتشاركون مع أبنائهم المقاومين القناعة والإيمان بالأصول والمبادئ التحررية، التي لا ينهض مجتمع إنساني ولا وطن ولا أمّة إلا بالتزامها والثبات عليها والإخلاص في الدفاع عنها.

■■■

شهيدنا الأسمى

عامان انقضيا، وجرحنا لمّا يندمل. والوطن اليوم لا يزال فرَسَي لسهام الصهاينة الغزاة المحتلّين، ولصليات الناكثين المتواطئين، ولتفاهات ونزق الانتهازيين المتسلّقين.

أمّا أهلك، والمقاومون إخوانك وأبناؤك، فهم على عهدك بهم، أشرف الناس وأكرم الناس وأطهر الناس ووافى الناس، ملتزمون نهجك في الثبات والصمود، رافضون قطعاً للتخاذل والاستسلام، لا يضرُّهم ناءي السلطة بنفسها وحواشيها، عن تحمّل المسؤولية الوطنية لتحرير الأرض وإدانة المعتدين وردعهم.

ولا يضيرُهُم تعبقُ اليوم المتواصل عبر أثير مرئيات مدفوعةِ الثمن والأجر، لترويج الإحباط وتثبيط الهمم ونفخ الأحقاد وبثّ المخاوف والشكوك، والتحريض على الفصل والإلغاء، وإثارة الفتن وتبرير جرم التعامل مع العدو وممارسة كل أشكال اللؤم الدفين.

■■■

ورغم ذلك كله، ففي ذكرى استشهادك والوطن اليوم لا يزال فرَسَي لسهام الصهاينة الغزاة المحتلّين، ولصليات الناكثين المتواطئين، ولتفاهات ونزق الانتهازيين المتسلّقين.

> **عامان من العُسر انطويا على يُسر مرتقب مأمول ينبلج فجره بفعل الصبر والثبات والتضحيات**

أمّا أهلك، والمقاومون إخوانك والوطن والإنسانية حتى التحرير والنصر، لا يداخلنا في ذلك وهمٌ ولا تساورنا أحلام، بل نبثّك يقيننا بأن التزام نهج الولاية والشهادة هو التزامٌ بمعادلة لا يتحقق بموجبها إلا النصر والرضوان.

الاحتلال لن يستقرّ في بلادنا، وسيندحر حتماً بفعل مقاومة أبنائك وإخوانك وأهلك الأحرار الشرفاء، الذين لم يَنَل العدو من عزيمتهم، ولم يَلوِ ذراعَهُم ولا عزمَهُم ألمُ فراقٍ للأحبّة، ولا تعبُ نزوح ولا ضنكُ تشرُّد وتهجير، وإنّ عزّ عليهم تواطؤ بعض أهل السلطة والشراكة في الوطن، مع الغزاة المحتلين والأوصياء المنتدبين من طواغيت محور الاستبداد الأميركي والغربي الراعي والداعم والحاضن لنهج الإبادة والظلم والعدوان في المنطقة والعالم.

في ذكراك يا سيد المقاومة وشهيدنا الأسمى، نُنبئك أن اولويتنا لمّا تزل وستبقى: دحر الاحتلال ورفض الإذعان، وحماية السيادة الوطنية وصون السلم الأهلي في وطننا، ونصرة قضايا الحق والعدل، وسنبقى موجَ البحر الهادر الذي حرّكه فينا الإمام المغيَّب السيد موسى الصدر أعاده الله ورفيقيه.

وسنبقى توهُّجَ الثورة التحررية التي أطلقها الإمام الخميني قدس سره، وسنبقى الصمّام المحرّك لمحور المقاومة الذي نهضنا به مع كل أطياف المقاومين الشرفاء في منطقتنا، بتأييد ودعم وعناية الإمام القائد الشهيد السيد علي الخامنئي أعلى الله مقامه، وسنبقى الأمناء على وصيّة قادتنا الشهداء: الشيخ راغب حرب والسيد عباس الموسوي، والإخوة الجهاديين الكبار رضوان الله عليهم جميعاً.

وسنبقى يا شهيدنا الأسمى حَمَلة لوائك الخفّاق لنصرة الحق ودحر المعتدين ومواجهة الظلم وإقامة العدل، نؤدّي بذلك واجبنا الشرعي والأخلاقي وقسطنا من الوفاء والولاء والجهاد في سبيل رفعة الإنسان والوطن، ونشر والتزام القيم الرسالية؛ نفخر بدعمنا لقضية الأمّة المركزية، قضية فلسطين المشروعة والعادلة، ولمقاومة شعبها المظلوم والمضطهد، ونعتبر أنّ ما قمنا به من إسناد لغزّة ولأهلها، هو واجب إنساني وأخلاقي ووقفة تضامنية شريفة ضدّ الصهاينة المحتلّين المرتكبين لأبشع جريمة إبادة جماعية يندى لها جبين الإنسانية في العالم وتشكّل وصمة عار لهم ولكلّ من دعمهم لارتكابها أو التزم الصمت إزاءها.

وسيشهد العالم كله، والمستضعفون من شعوبه على وجه الخصوص، أنّ حزب الله في لبنان، لم يُهزَم ولن ينهزم، وأنه كنجمة البحر كلما بُتر منها ضليعٌ، نما مكانه من هو أهلٌ لمواصلة تحمّل المسؤولية والقيام بالواجب وتنفيذ المهمات وتقويم الأداء وتحقيق الأهداف.

■■■

وها نحن اليوم، نتابع مع أحرار العالم كيف تتصدى الجمهورية الإسلامية الإيرانية للحرب العدوانية التي فرضتها عليها الإدارة الأميركية المجرمة، بالشراكة مع الكيان الإرهابي الصهيوني، ظلماً واستبداداً، بهدف إلغاء ومصادرة إرادة الشعب الإيراني الجسور، وإرغامه على تبديل خياراته السياسية والوطنية.

وإذ يقوم كلٌّ من هو في محور المقاومة بما عليه، فإن الرهان على كسر شوكة العدوان وإفشال أهدافه وإثبات الوجود والقدرة على رفض تسلّطه وسياساته، هو رهان واقعي يستند إلى تقييم دقيق للمجريات، ومعرفةٍ بمرتكزات القوة ونقاط الضعف ونوعية ومنهج الأداء والبدائل المتوافرة لدى الطرفين.

لقد كشفت مذكرة التفاهم التي وقّعها الطرفان الأميركي والإيراني لإنهاء الحرب، عن أوضاع الإدارة الأميركية وإرباكاتها، والمعادلات الفاعلة في أدائها، وهو ما سهّل على إيران اختيار السبل الناجعة والمؤثّرة لإحراز النجاحات، رغم كل محاولات التذاكي الأميركي المُخجل، ومناورات التفلّت والمكابرة التي أسهمت في تهشيم وفضح الزيف الحضاري والطلاء التمويهي المستخدم لإخفاء العفن الداخلي، ونزعات الإجرام والعنصرية والتنكر لحقوق الإنسان، والاستخدام الاستنسابي المريب للقانون الدولي ولمؤسساته ومنظماته.

■■■

أما الشراكة الصهيونية الإسرائيلية في العدوان على إيران وشعبها، والتجرؤ على قتل المرشد الأعلى والإمام القائد الشهيد السيد علي الخامنئي قدس الله سره، فلن تمرّ لدى الإيرانيين دون محاسبة وعقاب.

ومن يعرف المتبنّيات وقواعد التفكير المعتمدة لدى قيادة ومسؤولي الجمهورية الإسلامية، فله أن يجزم بحتمية الثأر المشروع من العدو الصهيوني المتوحّش على ما ارتكبه في هذه الجريمة المُنكرة والمدانة، وما أتبعها من اعتداءاتٍ وقصفٍ عشوائي ضدّ المنشآت والأهالي في إيران، فضلاً عمّا ارتكبه في فلسطين، وغزّة خصوصاً، من إبادة بشرية لم يشهد التاريخ نظيراً لوحشيتها. إضافة إلى ما ارتكبه العدو الصهيوني في لبنان وما يزال، من أفعال جرميّة وانتهاكات سافرة للقانون الدولي وللحقوق الإنسانية، بدءاً من جرم الإصرار على الاحتلال، ثم إلى تمدّده وتوسّعه رغم إقرار اتفاق 2024/11/27 لوقف العدوان، مروراً بموجة الاغتيالات ومذبحة البيجر وتدمير المؤسسات وتشريد الأهالي وهدم البيوت وتجريف الأراضي وإزالة الحدود والمعالم، وصولاً إلى سوق السلطة في لبنان لتوقيع صك الاستسلام والإذعان، وتفويض المحتل لمواصلة احتلاله وتهديده للبنانيين وللسيادة الوطنية، حتى القضاء على حزب الله وإنهاء الوجود والسلاح المقاوم.

إن الحساب الإيراني للعدو الصهيوني على هذه الارتكابات أمرٌ لا مفرّ منه، ولذلك فإن المنطقة ستشهد في القادم من الزمن مصاديق هذا الحساب.

■■■

سيّد المقاومة الأعزّ،

لطالما جَهدتَ وسَعَيتَ لفكّ قبضة الاستكبار الأميركي عن منطقتنا وليس عن لبنان فحسب، ولطالما دعوت لإخراج القوات الأجنبية الأميركية وقواعدها العسكرية من بلداننا في منطقة غرب آسيا.

إنّ مصلحة شعوب المنطقة تكمن بالتأكيد في تحرّرها وانفكاك ارتباط دولها بشبكة النفوذ الأميركي والتحالف الاستعماري الصهيوني، فيما مصلحة الأعداء تكمن في تثبيت وتعزيز تسلّطهم وهيمنتهم على شعوب ودول المنطقة، ودعم توسّع الكيان الصهيوني نحو إقامة «إسرائيل الكبرى» التي سيعتمدها الاستكبار عموماً بقيادة أميركا، ثكنةً متقدّمةً للعدوان على المنطقة، «غبّ الطلب»، وحارساً بل ذراعاً لحماية مصالح الغرب الاستكباري ومشاريعه.

وإنّ الحرب العدوانية التي بدأت تظهر نُذُرُها تباعاً، وفي حال أصرّ الأميركيون وحلفاؤهم وادواتهم على تسعير نارها، سيتوقف على نتائجها ترسيم مستقبل منطقة غرب آسيا والتوازنات الحاكمة فيها ولها، كما ستحسم مستقبل القواعد الأميركية في دول المنطقة بقاءً او إجلاءً.

وبطبيعة الحال سيتوقف على صمود إيران أساساً بوجه إعصار هذه الحرب، مستقبل الصراع ضد العدو الصهيوني وكيانه وأطماعه التوسّعيّة، وآفاق نضال وفعالية محور المقاومة وحركة التحرّر عموماً، ضد نفوذ قوى الهيمنة والتسلّط الاستكباري ومرتكزاتها في المنطقة.

■■■

الحديث عنك يا سيدنا ورائد مقاومتنا الأسمى، هو حديث يمسُّ أيضاً شريكك وعضدك والأمين العام السريع اللحاق بك من بعدك، الشهيد القائد السيد هاشم صفي الدين قدس سره، الذي رافقك في كل جهدك وقيادتك، وتوزّع معك المهمات الخاصّة والمتابعات الهادفة إلى بناء وتعزيز فعالية المجتمع المقاوم، على مختلف الصُعُد الثقافية والتعبوية والكشفية والاجتماعية والتربوية والمهنية والصحية والإنسانية، وعلى صعيد المراكز التخصصية والمؤسسات الفاعلة والراسخة الحضور والأثر.

وما كان ذلك ليكون لولا صدق التزام سماحته وشديد حبّه لشعبه في مختلف مناطق لبنان، بدءاً من الجنوب والضاحية، مروراً ببيروت والجبل، وصولاً إلى البقاع وبعلبك الهرمل وبلاد جبيل وكسروان والشمال وعكار.

هي ورشة إنماء متواصل كان يتولّى إدارة مخططها وتَوَزُّعِها ويواكب سيرها ونتائجها معتمداً على إخواننا المعنيين العاملين بجدٍ وإخلاص في مختلف الوحدات والمناطق والقطاعات.

نشهد في ذكراك، أنكما كنتما معاً تتشاركان وبقية إخوانكما في قيادة الحزب المقاوم، الرؤية والمشاريع والمسار ومواجهة الصعاب والتحديات، وإنجاز المهمات وتوزُّع المسؤوليات.

ولقد سَبَقْتَ، بل سبقتُما، ونلتُما تباعاً، وسام حفظ الوصية والتزام الولاية، ووسام الشهادة في سبيل الله، ولنا من بعدكما في ساحة الأخ العزيز والأمين العام المؤتمن الشيخ نعيم قاسم، حفظه الله، وبقية الإخوة القياديين الأعزاء في شورى وسميرة حزب الله والمقاومة الإسلامية، كل الثقة والإخلاص والوفاء والعزم على النهوض بكل موجبات إنجاز التكليف الشرعي والأخلاقي والوطني، حتى يأذن الله لنا ولشعبنا بالنصر العزيز، ويمنّ علينا بحسن العاقبة وقبول الأعمال.

* رئيس كتلة الوفاء للمقاومة

ابراهيم الأمين

معنى الثأر

شريط صغير بسماكة ورقة عادية، كان كافياً لوضع غرامات قليلة لها فعّالية قنبلة يدوية. تمّ عجنها في المواد المُشكِّلة لبطارية تشغيل جهاز النداء. لم تُصنع المادة في إسرائيل، بل في مركز نظامي تابع للجيش الأميركي، يقع في واحدة من قواعده بالولايات المتحدة الأميركية. والاختبارات العديدة التي أُجريت بداية، لم تكن مُخصّصة لعملية البيجر نفسها، بل لأمور أخرى، سبق أن جُرّبت في أكثر من مكان في العالم، بما في ذلك فلسطين.. هل تذكرون كيف تمّ اغتيال يحيى العياش؟

والمكر هنا، ليس وصفة غريبة عن أجهزة الاستخبارات في العالم، بل هو صفة لصيقة، بنيوية وأساسية. لكن، في حالة إسرائيل، هو مكر بلا ضوابط. ليس فيه حرامٌ أو حدود أو نقطة توقف. وعندما قرّرت استخبارات العدو المغامرة الكبرى في لبنان، لم تكن تلعب. بل هي غامرت بأغلى ما عندها.

يوسي كوهين، الذي تعرّفنا إليه لاحقاً رئيساً للموساد، كان تسلّم مهامه الجديدة إلى جانب مائير داغان، أكثر قادة الموساد خبثاً وإجراماً، وصاحب الخطط المركزية التي قامت على مبدأ «العقاب المفتوح» مع حزب الله. وهو انطلق في برنامج خاص بعد التحرير عامَ 2000، لكنّ ظروف ما بعد أحداث 11 أيلول 2001، فتحت الأبواب كلها دفعة واحدة. صار العالم كله بؤرةً للعمل الأمني الذي تقوده أميركا انتقاماً لقتلاها. وإسرائيل التي تجيد تصيّد الفرص، كانت تتسلّى بالأخبار عن تعاون بين حزب الله وتنظيم القاعدة في عملية برجَيْ نيويورك. لكنّ هدف دغان في حينه، هو فتح النوافذ بين الغرف، إذ لم يكن هدفه سوى التثبّت من أنه يحقّ له القيام بكل ما يجب القيام به انتقاماً من الهزيمة.

في وقت لاحق، أرسل داغان يوسي كوهين إلى لبنان، حيث زار الرجل بلادنا أكثر من مرة. ليس مهماً كيف وصل وأين أقام ومن التقى، وهو الذي سبق له أن عمل شخصياً على قيادة «خطة الاختراق البشري» لحزب الله. لم يترك بلداً لم يسافر إليه من أجل تحقيق هدفه. ومع أن المهمة المركزية كانت في الوصول إلى القادة الكبار في المقاومة، ولا سيما لائحة تضم إلى جانب السيد حسن، كل أعضاء المجلس الجهادي، المعروفين للناس أو الذين لا يزالون مكتومي القيد. مع جردة، بكل ما جمعته إسرائيل من مُعطيات حول الذين لعبوا ويلعبون دوراً في تنمية قدرات المقاومة سواء في لبنان، أو الذين تولّوا مهمة «نقل الخبرة» إلى الفلسطينيين في الضفة وغزة والقدس.

بهذه العقلية، كان العدو يدير معركته ضد المقاومة في لبنان. ليس مهماً على الإطلاق البحث عن تواريخ تخصّ متى قرروا القيام بهذه العملية أو تلك، أو كيف وصلوا إلى هذا الهدف أو ذاك. المهم في الأمر، هو روح المثابرة التي اتّسمت بها كل خطواتهم، فكرة وتخطيطاً ومتابعة وصولاً إلى التنفيذ.

في هذه الدائرة، تمّ تشخيص السيد حسن، بوصفه تحوّل مع الوقت إلى مركز العمل الذي يهدّد إسرائيل بقوة. بالنسبة إلى العدو، لم يكن السيد أميناً عاماً يملك صلاحيات كبيرة فقط، بل في تحوّله إلى الخيمة التي وفّرت الغطاء لعالم من النشاط المقاوم ضد إسرائيل في كل الكرة الأرضية. ولم يكن في بال العدو، سوى التعرّف إلى الطريق التي سار عليها الرجل، وعندما أمكنه تحديد ذلك، تعرّف إلى كل شيء: الطرقات والعناوين والأفكار والأشخاص وآليات العمل. وفي هذه اللحظة، أمكن للعدو أن ينتقل إلى الخطة التنفيذية. وهي خطة اقتضت أولاً، عزله تماماً، وجعله يتحدّث مع نفسه في غرفة الاجتماعات. كان العدو قد وصل إلى مكان تعرّف فيه إلى خصائص شديدة التعقيد تخصّ السيد وفريق عمله. ولا حاجة هنا، إلى الغرق في المعطيات حول ما الذي كان العدو يعرفه. فلا هو يعرف كل شيء كما يزعم، ولا هو جاهل بمداخل البيت أيضاً. لكنه وصل إلى مستوى من المعرفة، مكّنه من حسم القرار: لا بدّ من قتل هذا الرجل!

مرّ عامان على استشهاد السيد حسن، والناس لن يستفيقوا من الصدمة بسهولة. لكنّ الأمر لا يبقى في إطار التعب من شعور الفقد، فقد تعوّد أهل المقاومة على الفقد، ولديهم في عقولهم وقلوبهم، قصص تجعل الفقد نعمة لا نقمة، وهي قدرة يُحسد المؤمنون على امتلاكها. لكنّ الفكرة المهمة، والتي يعرف العدو، بطبيعته، أنها قائمة اليوم، هي فكرة الانتقام والثأر. وإذا كان هدف الحرب المفتوحة في الجبهات كلها، منع الطرف الآخر من الاستراحة، وأخذ النفس للتفكير بما هو آت، فإن إسرائيل تعي تماماً، أن الحرب لم تنتهِ، ولن تنتهي، ودروس ما بعد طوفان الأقصى تقول لنا ببساطة، إننا أمام عدو لا يمكن العيش معه، وصحيح اعتقاد قادته وقاعدته، بأنه لا يمكن له أن يبقى هنا، لا كيان ولا مؤسسات ولا حتى على صعيد الجمهور.

الأهم الذي نحتاج إلى معرفته، هو أن فكرة الانتقام، ليست عملية ثأرية على طريقة أهل القبائل. بل هي مهمة متكاملة، فيها القناعة الكاملة بعدالتها، وفيها الإصرار على تحقيقها بأفضل النتائج، لكنها تحتاج إلى مكر أين منه مكر بني صهيون. والأهم، أنها تحتاج إلى مثابرة سوف تجد طريقها مع جيل جديد، هو «جيل الطوفان». وسنكتشف نحن، قبل أو بعد أو مع العدو ذاته، أن العقاب العادل لهذه الدولة، حكومة وشعباً ومؤسسات، ليس عملية عادية، بل هو أكثر الأحداث صخباً، الذي يجعل التاريخ يذكرها بوصفها، أكثر طرق العدالة وضوحاً...

صار واضحاً أن قتال العدو له أشكاله الكثيرة، لكن ما تحتاج إليه المقاومة في لبنان وفلسطين، هو عمل من نوع مختلف، فيه محاكاة لأكثر أعمال العدو خبثاً وإيلاماً، وفيه المزيد من معرفة كل ما يتعلق بهذا العدو، في داخل مجتمعه بكل أبوابه، وكيف الوصول إلى التجوّل في غرف بيته الورقي، والدخول إلى عقله، ليس لفكّ شيفرة العقيدة التي تجعله متماسكاً وقوياً، فهذا جهد بلا جدوى، بل للوصول إلى حيث وصل هو عندما دخل عقلنا، فلم يتعرّف فقط إلى ما نقوله، بل صار شريكاً في جدول أعمالنا، وآليات عملنا، وحتى اختيار أدواتنا.

عندها، يكون لنا شريط مُشابِه، بسماكة كتاب التاريخ كله، وليس بحجم ورقة فقط، تخرج منه أفعال هي حقّ على كل من يطلب العدالة في الأرض، ويومها فقط، يمكن لنا، أن نقف أمام مرقد السيد حسن، ليس لقراءة الفاتحة وذرف الدموع، بل تكريماً حقيقياً لذكرى من يبقى شاهداً على أحقية المقاومة، وقدرتها على تحقيق النصر!.

ذكرى

نصرالله: معجزة الثورة العالمية

سيف دعنا*

«لم تظهر في مسرح التاريخ شخصية واحدة قط تتمتع بموهبة أعظم من هذا الثائر الأسمر»

سي. ل. ر. جايمس عن توسان لوفرتور
(اليعاقبة السود)

في مثل هذه الأيام، قبل مئتين وخمسة وثلاثين عاماً، وتحديداً في مساء الرابع عشر من آب 1791، أعطى دوتي بوكمان، زعيم ثوار هايتي حينها، تعليماته الأخيرة لقادة الثورة الذين جاؤوا للقائه ليلاً في «غابة التماسيح» حاملين المشاعل لتضيء لهم الطريق في ليلة يصفها المؤرّخون بالعاصفة جداً. بعدها بأسبوع، في الثاني والعشرين من آب، انطلقت الثورة من السهول الشمالية المحيطة بمدينة كاب هايتيان. يومها، قام الثوار بإحراق أكثر من 1200 مزرعة وقتل أكثر من ألف مستوطن أبيض، فـ«أصبح القسم الشمالي من المدينة كله خراباً. كان الأفق كله عبارة عن جدار هائل من النار، ومن هذا الجدار ظلّت ترتفع باستمرار كميات كبيرة من الدخان الأسود الكثيف حتى أن أهل المدينة لم يستطيعوا تمييز الليل من النهار لثلاثة أسابيع متواصلة، فيما كان قش قصب السكر المحترق يتساقط كرقائق الثلج مغطياً المدينة والميناء، ومهدداً بدمارهما كلياً». بعد اثني عشر عاماً من تلك الليلة، وبعد جولات عدة دامية جداً، استشهد فيها قائد الثورة الأول دوتي باكمان في تشرين الثاني/نوفمبر 1791، ثم خليفته الفذ توسان لوفرتور (في الاعتقال الفرنسي) في 7 نيسان/أبريل 1803، انتصر ثوار هايتي على أميركا وفرنسا وإسبانيا وإنكلترا وجيوشها الجرارة وأموالها الهائلة وأسلحتها المتطورة، وأعلن جان جاك ديسالين الثاني قاد الجولة الأخيرة من الثورة، استقلال هايتي في الأول من كانون الثاني 1804.

بعدها بمئة وستة وعشرين عاماً، أو قبل مئة وعشرة أعوام تقريباً، وتحديداً في تمام الساعة 9:45 من مساء السادس من تشرين الثاني نوفمبر 1917 (25 تشرين الأول/أكتوبر، بحسب التقويم اليولياني)، أطلق الطراد «أوروّرا»، الراسي حينها على ضفاف نهر نيفا الذي يقطع مدينة بطرسبورغ الروسية، قذيفة مدفع مدوية في الهواء. كانت تلك إشارة لجيش البلاشفة وأنصارهم بأمر الهجوم على قصر الشتاء، بعدها بقليل، كانت مفارز الجيش الأحمر تقتحم قصر الشتاء، كالإعصار، ليدخل بعدها التاريخ مرحلة جديدة ستغير العالم.

ثم تتالت الأحداث التاريخية الكبرى والمشاهد العظيمة والاستثنائية. فبعد تلك الليلة بتسعة وثلاثين عاماً، وبعد أربع سنين وثلاثة أيام على ثورة يوليو 1952، وتحديداً في تمام الساعة الثامنة والنصف من مساء 26 تموز/يوليو 1956، ومن ميدان المنشية في الإسكندرية، أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس، ليكون الإعلان إيذاناً بتحول فكرة الجماعة والأمة العربية لقوة تاريخية هائلة ومضادة لاستراتيجية الهيمنة الاستعمارية الغربية. وبعدها بتسعة عشر عاماً، في 29 نيسان/أبريل 1975، أعطى الجنرال الفيتنامي «فان تين دونغ» الأمر للجيش الشعبي الفيتنامي بالشروع بتنفيذ «هجوم هوشي منه» وتحرير سايغون. وبعد يومين فقط، في الأول من أيار، كان العالم يشاهد بذهول اقتحام دبابات الجيش الشعبي للقصر الرئاسي، كإعلان صارخ لهزيمة الإمبراطورية الأقوى في التاريخ. وبعد تحرير سايغون بثلاث سنين وتسعة أشهر، في الأول من شهر آذار/مارس 1979، استقبل الملايين من الإيرانيين المنتفضين على نظام الشاه منذ كانون الثاني 1978، الإمام الخميني العائد من منفاه منتصراً، وأعلن بعدها بشهرين، 1 نيسان/أبريل 1979، تأسيس الجمهورية الإسلامية.

وفي الخامس والعشرين من أيار/مايو 2000، وبعد تحرير سايغون بخمسة وعشرين عاماً وخمسة وعشرين يوماً بالضبط، وواحد وعشرين عاماً وثلاثة أشهر من عودة الإمام الخميني، وفي نهاية مشهد مذهل من الانسحاب الفوضوي والهزيمة المذلة، أغلق ضابط صهيوني مهزوم ومكسور الروح اسمه بيني غانتس بوابة فاطمة في جنوب لبنان، نظاماً منه ومن حكومته أن باباً حديدياً يمكنه أن يوقف مفاعيل تلك الهزيمة المرة والأولى في تاريخ الصراع العربي - الصهيوني. لكن ستتصاعد، وسيكون هذا الحدث المفصلي، بتاريخه وتوقيته ومعناه وقائده، نموذجاً استثنائياً بين النماذج الاستثنائية التي سبقته، كما سنرى.

اللافت أن كل هذه الأحداث التاريخية، وغيرها الكثير من أحداث مشابهة في أميركا اللاتينية، أفريقيا، وآسيا، لم تحدث من دون، وفي المكان الذي كان يُفترض، أو يُتوقع، أن تبدأ منه وتحدث فيه. فكما كان يبدو للكثيرين، كان مركز العالم الرأسمالي هو المكان المُفترض، والطبيعي، والمُتوقع، الذي ينبغي أن تتشكل فيه ومنه القوة التاريخية القادرة على تغيير وتحرير العالم. ففي دول المركز الرأسمالي العالمي تتركز المصانع ورأس المال والتكنولوجيا، وهناك تشكلت طبقات اجتماعية حديثة، وهناك أيضاً ظهر التناقض التاريخي الأساسي بين رأس المال والعمل الكثر وضوحاً ونضوجاً. لكن تاريخ القرون الماضية، خصوصاً القرون العشرين وما مر من القرن الحادي والعشرين، تروي قصة مختلفة تماماً. فما يجمع كلّ تلك المشاهد العظيمة والدهشة، وغيرها من الأحداث الثورية الحقيقية التي شغلت العالم، أنها لم تحدث في أوروبا أو الولايات المتحدة، بل في المحيط، في الهامش، في الجنوب العالمي.

ما قد يبدو في هذه السردية كمفارقة كبرى، هو في الجوهر تعبير عن بنية المصالح التي تجعل من المبادرة لقيادة الفعل التاريخي ينتقل موضوعياً إلى المواقع التي تتركز فيها تناقضات النظام العالمي بصورة أشد، أي إلى الجنوب العالمي. هكذا تحولت مواقع الخضوع إلى مواقع صراع ومقاومة، لهذا بالضبط جادل أنور عبد الملك ضد رؤية البروليتاريا الغربية كحامل التغيير الثوري العالمي، وربط إمكانية كسر الهيمنة الرأسمالية بتشكل جبهة مضادة تجمع بين التحرر الوطني والثورات الاجتماعية، وكذلك أيضاً جادل فرانز فانون في «معذبو الأرض»، و أميلكار كابرال في «حركات التحرر والثقافة».

خطاب آيار: مانيفستو الجنوب العالمي

في السادس والعشرين من أيار/مايو 2000، وفي ختام خطاب الانتصار التاريخي، خاطب السيد الشهيد حسن نصرالله الفلسطينيين والعرب والمسلمين مجملاً بعض دروس تجربة المقاومة الإسلامية في لبنان، ومقدماً الانتصار كنموذج يمكن أن تستلهم منه الشعوب العربية والإسلامية، ولا سيما الشعب الفلسطيني الطريق:

«هذا النصر نقدّمه لشعبنا المظلوم في فلسطين المحتلة ولشعوب أمّتنا العربية والإسلامية. ومن هنا، من بنت جبيل المحررة، أخاطب شعب فلسطين المظلوم المعذب المضطهد. يا شعبنا في فلسطين: مصيرك بيدك... يا شعب فلسطين، إن طريقكم إلى الحرية، هو طريق المقاومة والانتفاضة، المقاومة الجادة والانتفاضة الحقيقية، لا الانتفاضة في إطار أوسلو، ولا الانتفاضة في خدمة المفاوض المتنازل في ستوكهولم... هذا النموذج اللبناني الراقي نقدّمه لشعبنا في فلسطين».

ورغم أنه قد يبدو للمتابع، أو قارئ الخطاب، أن السيد الشهيد المنتصر كان يقيم الحجة التاريخية القاطعة في مواجهة الخيارات التفاوضية للقيادة الفلسطينية وبعض الأنظمة العربية، والتي كانت عشية التحرير بالذات قد أثبتت أن مسارها أيسَسَ وصُمِّمَ أساساً لتصفية القضية الفلسطينية والقضايا العربية بما يتوافق مع ترتيبات إقليمية ودولية أوسع. إلا أن دلالات خطاب السيد الشهيد الذي قاد المقاومة في أوج تلك الظروف إلى الانتصار في أيار، تتجاوز ذلك كثيراً. كان السيد يخاطب، ويقيم الحجة أيضاً على كل شعوب وثوار الجنوب العالمي. فاتفاقية أوسلو ومسار المفاوضات التي اختارتها القيادة الفلسطينية وبعض الدول العربية، لم تكن نتيجة لسياق فلسطيني محلي فقط، ولا حتى نتيجة للحالة العربية والإقليمية. بل، كانت كذلك، وربما بدرجة أكثر أهمية، مرتبطة بالبنية الدولية التي تشكلت في أعقاب نهاية الحرب الباردة، واختلال موازين القوى العالمية لصالح الولايات المتحدة والمعسكر الغربي.

ولفهم خصوصية التجربة التي مثلتها المقاومة الإسلامية في لبنان حينها بقيادة الشهيد نصرالله، من الضروري وعيها في سياق اللحظة التاريخية عشية اتفاقية أوسلو. فحال العالم حينها قارب حالة استسلام وخضوع عربي وعالمي مطلق، لولا وجود المقاومة الإسلامية في لبنان التي بدأت الاستشهاد الوحيد في المنطقة العربية. ففي أواخر الثمانينيات وبداية التسعينيات شهد العالم تحولات كبرى قادت لإعادة تشكيل البنية الدولية استراتيجياً مع انتهاء النظام الدولي الثنائي القطبية. ففي حزيران/يونيو 1989، كانت بولندا الدولة الأولى في أوروبا الشرقية وحلف وارسو التي تسقط وتشهد انتقالاً كاملاً إلى المعسكر الرأسمالي المضاد، لتتبعها المجر بعد ثلاثة أشهر. وقبل أن تتساقط بقية حجارة دومينو حلف وارسو ويتم حله رسمياً في تموز 1991، سقطت برلين وجدارها، فكانت الحدث الرمزي لنهاية المعسكر الاشتراكي. وفي السادس والعشرين من ديسمبر 1991، عقد مجلس السوفيات الأعلى اجتماعه الأخير وأعلن عن الحل الرسمي والنهائي للاتحاد السوفياتي الذي تم تقسيمه إلى 15 دولة، لتنتهي بذلك مرحلة تاريخية كاملة. كانت النتيجة الأساسية والتي ستؤثر في كل بقاع الأرض، هي انتقال النظام الدولي من حالة من التوازن النسبي التي فرضتها الثنائية القطبية إلى الهيمنة الأميركية المطلقة.

أما عربياً وإقليمياً، فلم تكن التحولات أقل عمقاً، بل مثلت انعكاساً للواقع الدولي. ففي صباح السابع عشر من كانون الثاني 1991، وانطلاقاً من الأراضي العربية في الخليج بالذات، وبمشاركة جيوش عربية، بدأت الحرب الأميركية على العراق، وانتهت إلى تصفية إحدى أهم القوى العربية والإقليمية، وإعادة تشكيل موازين القوى الإقليمية.

أما في أميركا، راعية النكبان الصهيوني، فلم يكن هناك تعبير عن نشوة الانتصار أكثر من سردية نهاية التاريخ، التي عبرت عنها أطروحة فرنسيس فوكوياما في أعقاب انهيار الاتحاد السوفياتي. ولأن التاريخ لا ينتهي كما جاء في ثرهات فوكوياما، بل ولا يمكن أن ينتهي عند نقطة، إلا أن مقولة فوكوياما عكست المزاج الفكري والسياسي السائد في تلك المرحلة، بأن النموذج الغربي قد انتصر بصورة نهائية وقاطعة ومطلقة، وأن البدائل الأيديولوجية والسياسية الكبرى عاجزة عن تقديم نموذج عالمي منافس. كانت أيديولوجيا نهاية التاريخ جزءاً من لحظة أوسع جرى فيها تكريس الهيمنة السياسية والاقتصادية والمعرفية المطلقة للغرب، وجزءاً من مجهود الإخلاء السياسي، بل والتاريخي، الكلي للمعرفة وإسكات مطلق لصوت شعوب العالم، وخصوصاً شعوب الجنوب العالمي المستضعفة. هكذا بدى النظام الدولي، في مطلع التسعينيات، يتجه نحو تكريس نموذج عالمي واحد، سياسياً واقتصادياً وثقافياً، تقوده الولايات المتحدة وحلفاؤها.

كان الشهد العالمي يوحي باستسلام وخضوع عالمي كامل للهيمنة الأميركية، حتى أن مجرد فكرة المقاومة والرفض لهذه الترتيبات كانت تبدو جنوناً وانتحاراً، وانتصارها يحتاج إلى معجزة. فباستثناء كوبا والصين وكوريا الشمالية، لم يبقَ من الحلف المناهض للهيمنة الرأسمالية سوى فيتنام ولاووس اللتين ستتبنيان برامج الإصلاح النيوليبرالي تدريجياً. فيما لم يصدر أي إصرار علني على الاستمرار في مقاومة الهيمنة إلا من الزعيم الكوبي فيديل كاسترو الذي رأى الخضوع للرأسمالية كتنازل عن استقلال كوبا وأهداف ثورتها، والسيد الشهيد حسن نصرالله، الذي كان قد تولى لتوه الأمانة العامة وقيادة المقاومة في 16 شباط 1992 بإعلانه «هذا الطريق سنكمله».

ولفهم أعمق لدلالات عبارة السيد الشهيد، «هذا الطريق سنكمله»، والتي مثلت عقيدة المقاومة التي انتصرت في أيار 2000، وتموز، والإسناد، وصمدت في علي الطاهر، وإلى يومنا هذا، يتوجب أيضاً فهمها في سياقها التاريخي. فالسيد الشهيد لم يتسلم الأمانة العامة لحزب الله وقيادة المقاومة في لحظة صعود ثوري عربي وعالمي، كما كانت ظروف من سبقه من قادة حركات التحرر في الجنوب العالمي منذ منتصف القرن العشرين. فالظروف الدولية حينها، خصوصاً بنية الثنائية القطبية، وفرت لحركات التحرر الوطني والمقاومة وقادتها مساحات مناورة هائلة، كما وفرت لهم حاضنة دولية تمثلت بقوة عظمى تقود تحالفاً عسكرياً (وارسو) واقتصادياً (كوميكون) عالمياً. أما السيد الشهيد، فلم يواجه أصعب الظروف المحلية والإقليمية والدولية فقط، بل كان عليه أيضاً أن يقود المقاومة، ويحقق إنجازات غير مسبوقة، في لحظة ردة ثورية شاملة، واستسلام شامل، على المستوى العالمي والعربي، وحتى الفلسطيني، وفي ظل انحسار الحواضن السياسية الدولية التي كانت متاحة لحركات التحرر السابقة، وبالتزامن مع ترسخ نظام دولي أحادي القطبية تقوده الولايات المتحدة.

لا يمكن، إذن، النظر إلى انتصار أيار/مايو 2000 كإنجاز عسكري كبير ومذهل فقط، وهو كذلك في جانب منه، أو كانتصار غير مسبوق للبنان والعرب، وهو أيضاً كذلك في جانب منه، بل إن فهمه في السياق التاريخي المحلي، الإقليمي، والعالمي، يعني أنه كان تحدياً عملياً وفعلياً، بل التحدي الوحيد حينها، لافتراض ومسار تاريخي عام وترسخ عالمياً منذ مطلع التسعينيات مفاده أفول مرحلة وعهد حركات التحرر والمقاومة إلى الأبد، وأن المسار الوحيد الممكن فقط في المرحلة الجديدة هو التسويات السياسية تحت مظلة النظام الدولي الجديد ووفق متطلباته ومصالحه، أو مواجهة عنف المنظومة الدولية مجتمعة. وعليه، لم يكن خطاب الشهيد نصرالله في بنت جبيل، بالتالي، مجرد احتفاء بتحرير الجنوب اللبناني، وإن كان كذلك في جانب منه من القائد اللبناني والعربي والمسلم الأول الذي حرر أرضاً محتلة، ولا حتى دعوة للفلسطينيين والعرب والمسلمين لتبني خيار المقاومة، وإن كان كذلك في جانب منه من قائد عربي استثنائي أدرك أكثر من غيره مركزية فلسطين للمسألة العربية والإسلامية وللثورة العالمية. بل حمل كذلك، في بنيته وسياقه الأوسع، تصوراً إنسانياً وعالمياً عن معنى المقاومة في زمن الأحادية القطبية.

في تلك اللحظة بالذات، في بنت جبيل، توقف السيد الشهيد عن أن يكون مجرد قائد لبناني غير مسبوق، أو زعيم عربي أو مسلم استثنائي، بل أصبح قائداً أممياً. وكان خطابه في أيار بمنزلة مانيفستو المقاومة في الجنوب العالمي والثورة العالمية. فخطاب وممارسة السيد الشهيد منذ لحظة توليه الأمانة العامة لحزب الله في شباط 1992، بعد أقل من شهرين من اكتمال تفكك النظام الدولي السابق كلياً وترسخ النظام الأحادي القطبية، وانتصار نموذج المقاومة الإسلامية في لبنان بعدها بثماني سنوات فقط، أعاد فتح النقاش من جديد وعلى مصراعيه حول موقع شعوب الجنوب العالمي في النظام الدولي الذي تشكل بعد الحرب الباردة وحول إمكانات الفعل والمقاومة. هل تنحصر خيارات شعوب الجنوب العالمي في التكيف فقط مع النظام العالمي القائم وتلبية شروطه التي تقارب القبول بالاستعباد، أم يمكنها، من خلال المقاومة والتضحيات أن تؤسس لمسارات بديلة ومضادة؟ الإجابة عن هذا السؤال يمكن تلمس بعض ملامحها فقط في المسار الإقليمي المضاد الذي أسس له انتصار أيار وتشكيله فضاء وحاضنة إقليمية للمقاومة الفلسطينية، وكان الصدى الأول لمانيفستو الجنوب العالمي ولعجزة نصرالله في فلسطين، وبدأ بانتفاضة الأقصى بعدها بأربعة أشهر، وتطور إلى طوفانها .

حرب تموز: مناهضة المنظومة

ثم جاء تموز 2006 ووقعت المواجهة التي كشفت أكثر بكثير مما تكشف مثيلاتها من الحروب. فلم تكشف وتؤكد المعروف فقط، أن حزب الله لم يكن يواجه الكيان الصهيوني لوحده أصلاً، بل وكشفت أيضاً أن من أشرف على الرد وإدارة الحرب كان بنية المنظومة الكونية الجديدة مجتمعة. هكذا أصبح واضحاً أن حزب الله، حينها، يمثل النموذج الأهم لما سماه إيمانويل والرشتاين «الحركات المناهضة للمنظومة». فلم تكن هذه الحرب منذ اليوم الأول مع الكيان الصهيوني، ففي الأسبوع الثاني للحرب، 21 تموز 2006، أعلنت كوندليزا رايس، ومن على منصة وزارة الخارجية الأميركية، وبعد تأكيد رفضها لوقف إطلاق النار، أن «ما نراه هنا، وبشكل ما يتصاعد، هو آلام/مخاض ولادة شرق أوسط جديد. ومهما فعلنا، علينا أن نكون على يقين بأننا نتقدم وندفع باتجاه شرق أوسط جديد، وليس العودة إلى القديم». لم يحدد هذا التصريح معنى الحرب فقط، ولكن كشف فهمهم للدور الذي يقوم به حزب الله ويتجاوز بتبعاته وتأثيراته لبنان بكثير. فحزب الله أصبح حينها قوة إقليمية. لكن هذا التصريح الذي أصبح واسع التداول، وتم النظر إليه حينها بوصفه كاشفاً للاستراتيجية الأميركية التي كانت تسعى إلى إعادة تنظيم الإقليم استراتيجياً، لم يكن الحدث الدولي الوحيد ذا الدلالة على طبيعة الصراع وجوهره، وتجاوزه حدود لبنان والمنطقة العربية، وأيضاً دور حزب الله.

فقبل ذلك بأيام، وتحديداً في 17 تموز/يوليو 2006، صدر البيان الختامي لاجتماع الدورة الثانية والثلاثين لـ «مجموعة الثماني»، التي كانت تضم آنذاك اكبر القوى الاقتصادية في العالم (الولايات المتحدة، وبريطانيا، وكندا، وألمانيا، وفرنسا، وروسيا، واليابان، وإيطاليا) بالإضافة إلى مجموعة «الثماني زائد» التي ضمت (البرازيل، والصين، والهند، والمكسيك، وجنوب أفريقيا). ولم يتضمن البيان تبنياً واضحاً للمطالب «الإسرائيلية» فقط، بل كان كاشفاً للاصطفافات الدولية على حقيقتها، وكاشفاً لدى ترسخ بنية القطب الواحد الذي أعلن الحرب على حزب الله، وفي 27 تموز/يوليو، أي بعد سبعة أيام من تصريح رايس السابق، وصلت إلى روما للمشاركة في اجتماع ما عُرف بـ«مجموعة لبنان الأساسية»، التي ضمت مصر، والسعودية، والأردن، والبنك الدولي، والاتحاد الأوروبي، وفرنسا، وروسيا، وبريطانيا، والولايات المتحدة، والأمم المتحدة، وإيطاليا، وإسبانيا، وألمانيا، وتركيا. مرة أخرى، كشف هذا الاصطفاف الدولي والإقليمي والعربي الواسع أيضاً ليس فقط حجم التحديات التي واجهها مشروع حزب الله، ومدى تشابك المصالح الدولية والإقليمية والعربية والمحلية، بل وحقيقة دور وموقع ورسالة حزب الله وقائده في مقابل المنظومة الإقليمية والدولية في تلك المرحلة.

على الجانب الآخر من الجبهة، لم يكتف السيد الشهيد بقيادة المعركة المتعددة الجبهات والجهات فقط، بل، وفي الخطابات الثلاثة عشر (وخطاب الانتصار بعد ذلك) قدم لنا وللعالم أكبر عملية تأسيس إيديولوجي، نظري، وفلسفي، وكفاحي، وسياسي، وتاريخي للمقاومة والتحرر الوطني في التاريخ العربي الحديث. ومن تابع خطابات السيد الشهيد، وفهمها في سياق التناقض الرئيسي في التاريخ، أدرك أنه يتابع درساً فذاً في توطين المقاومة بحرفية ثورية غير مسبوقة. في تلك اللحظة بالذات، لم يعد السيد الشهيد قائداً أممياً تحررياً آخر، بل، وبالإضافة إلى المرحلة التي جاء فيها، أصبح القائد الأممي الأهم في تاريخ حركات التحرر الوطني والمقاومة، ومثل بتجربته الاستثنائية معجزة الثورة العالمية. تكفي فقط مقارنة قصيرة لتوضيح هذه الفكرة.

كان ماو تسي تونغ مثلاً، ولا يزال، يمثل أحد أكثر نماذج الإبداع الثوري في العالم المستعمَر على الإطلاق. ففيما قدّم فرانز فانون، على سبيل المثال لا الحصر، نظرية للثورة والتحرر ركّزت أساساً على تفسير الاستعمار وتبعاته وآثاره النفسية والاجتماعية على الذات المستعمَرة، وربط الكفاح المسلّح بإعادة بناء الإنسان وذاتية المستعمَر، وليس فقط بالتحرر الوطني، كانت عبقرية ماو تسي تونغ تكمن في تطوير استراتيجية ثورية كاملة أو ما يمكن اعتباره نظرية شاملة للحرب الثورية التي تتضمّن أيضاً التأسيس لبناء السلطة الثورية (العنف الثوري ليس مجرّد وسيلة لتنفيذ السياسة، بل وسيلة لإنتاج السياسة نفسها)، بما يشمل نموذجاً تفصيلياً لإدارة الثورة وتنظيمها، وحتى مراحلها، يكون فيها البعد العسكري، أو الجيش الثوري المسلّح، أقرب إلى مدرسة سياسية تربوية أيضاً. لم تكن عبقرية ماو، إذن، تكمن فقط في توظيف العنف الثوري واستخدامه في البعد العسكري بحدّ ذاته فقط، بل وفي إعادة بناء معنى الحرب الثورية في السياق الاستعماري، وتحويل الكفاح المسلّح من مجرد أداة عسكرية إلى استراتيجية سياسية واجتماعية وثقافية متكاملة. المساهمة الأخرى المهمة لماو تسي تونغ كانت، أيضاً، في قدرته الاستثنائية على تجاوز المقولات الفكرية الأوروبية إلى حد كبير، وأعاد إنتاجها داخل شروط تاريخية (صينية) مختلفة. فالمقاومة المسلحة عند ماو لم تكن مجرد تكتيك عسكري، بل استطاع تحويلها إلى نظرية سياسية متكاملة تقوم على حرب الشعب، والحرب الطويلة الأمد، وأيضاً دور الفلاحين بوصفهم الفاعل الثوري الأساسي. هكذا، أعاد ماو صياغة الرؤية الماركسية لتستجيب لواقع مجتمع شبه مستعمَر، أو قام بتوطين الماركسية الثورية، وقدم نموذجاً غير مسبوق في شموليته يربط بين التحرر الوطني والتحول الاجتماعي. وهنا بالضبط تكمن أصالته، خصوصاً في قدرته على تحويل نظرية ثورية ذات منشأ وأصل أوروبي إلى أداة لتحليل وممارسة الثورة في سياق غير أوروبي.

كذلك أيضاً، عمل السيد الشهيد على تحويل المقاومة الميدانية إلى نسق فكري متكامل (ربما لم تكن بهذه الصيغة الشمولية في تاريخ كل حركات التحرر إلا عند ماو وهوشي منه وأميلكار كابرال، فيما كان تركيز الغالبية على جوانب بعينها). فرؤية السيد الشهيد نصر الله للمقاومة المسلحة كانت أكثر بكثير من مجرد اعتبارها فعلاً عسكرياً. بل كانت جزءاً من مشروع سياسي واجتماعي، يعتمد على تعبئة المجتمع، والبيئة الحاضنة، وحتى إنتاج الشرعية. فكما أن المقاومة المسلحة لا يمكن فصلها عن السياسة، كما كانت في نموذج ماو وكابرال خصوصاً، وكما أن قوتها تستمد أساساً من علاقتها بالجماهير، لم تكن رؤية السيد نصرالله للمقاومة تقوم على القدرات العسكرية وحدها، على أهميتها الكبيرة، بل وكذلك على أبعادها الشعبية والثقافية والمعنوية. هكذا، ومنذ البداية (وخصوصاً منذ خطاب بنت جبيل) طوّر السيد الشهيد في سلسلة كبيرة من الخطابات والمحاضرات، وأيضاً من خلال ممارسة حزب الله الميدانية، تصوراً استراتيجياً للمقاومة يقوم على التكامل بين القوة العسكرية، والتنظيم السياسي، والبناء الاجتماعي، والإعلام، أو ما يسمى نظرية ممارسة (Praxis)، أو عقيدة مقاومة سياسية - عسكرية.

هكذا يمكن، ربما، فهم كيف شكلت قيادة السيد الشهيد نصرالله للمقاومة الإسلامية في لبنان علامة فارقة، ليس في الوعي السياسي المحلي، بل وفي الوعي السياسي العربي والعالمي. فلم تقتصر الإنجازات على الجانب العسكري الميداني (مثل تحرير جنوب لبنان في أيار 2000، وانكسار العدوان الإسرائيلي في تموز 2006)، بل تجاوزها إلى تفكيك المنظومة المعنوية والنفسية التي فرضتها الهيمنة الإسرائيلية والغربية (ما يشكل تطبيقاً غير مسبوق بهذه الحرفية لفلسفة فرانز فانون الثورية). لكن، ما مير شخصية ودور وأداء السيد الشهيد نصرالله، أن الجمع بين التأسيس النظري للأفكار والعمل الميداني من جهة، والقدرة العالية على صياغة خطاب فكري جماهيري من جهة أخرى، استندت أساساً إلى الفكر والتراث الإسلامي ومنظومة القيم الإنسانية العالمية. فلقد قدم السيد قراءة ثورية استثنائية للإسلام كطاقة تحررية كبرى، قادرة على حشد الشعوب وبناء مؤسسات مجتمعية وثقافية متكاملة. هكذا، قدم مشروع المقاومة التي قادها السيد الشهيد إجابات عملية للمثقفين والمناضلين في الوطن العربي والعالم الإسلامي، وحتى في الجنوب العالمي، حول كيفية بناء مجتمعات المقاومة في مواجهة نماذج التبعية والتدجين الثقافي. وهكذا، كان من تبعات المشروع الذي أسسه وقاده السيد الشهيد التأسيس لقطيعة بنيوية مع المأزق التاريخي للفكر والسياسة العربية التابعة. فنموذج المقاومة الإسلامية لم يثبت فقط بطلان حتمية التفوق الإمبريالي والصهيوني، بل وفضح عجز البنى السياسية والنخبوية العربية التقليدية، وشكل الحجة القاطعة على كل التقاليد السياسية والفكرية العربية المعاصرة .

خاتمة: التوجه شرقاً

بعد ثلاثين عاماً تقريباً من تولي قيادة المقاومة، وعشرين عاماً من خطاب بنت جبيل، في أوج تحول استراتيجي عالمي وترسخ سطوة الأحادية القطبية، عبر السيد الشهيد في خطابه في السادس عشر من حزيران/يونيو 2020 عن إدراك عميق لطبيعة ومسار المخاض العالمي الجاري حينها، والذي كان يؤشر، هذه المرة، لانتقال استراتيجي مضاد باتجاه تشكل عالم متعدد الأقطاب. ففي هذا اليوم، طرح السيد، من ضمن ما طرح، فكرة أو مشروع «التوجه شرقاً» والتي فهمها البعض، محقاً، كاقتراح لتحصين الجبهة الداخلية للبنان، كما لبيئة المقاومة في مقابل الانهيار الاقتصادي والمالي المرتبط بالسياسات الغربية. فلقد كان واضحاً حينها أن النموذج الاقتصادي اللبناني المرتبط بنيوياً بالمنظومة المالية الغربية قد وصل إلى طريق مسدود.

لكن جوهر الفكرة يوحي ليس فقط بما هو أعمق من ذلك، بل وأيضاً ارتباط كل ذلك بمشروع المقاومة ومدى وعي قائدها بحال العالم. فالتوجه شرقاً يوحي باستنتاج عميق يخص مفهوم المقاومة الشامل، فالصراع مع المشروع الصهيوني، ومن خلفه الإمبريالية الغربية، لا يجري فقط في ساحات القتال العسكري، والعمل السياسي والجماهيري والثقافي، بل ويخاض أيضاً على جبهات الاقتصاد، والغذاء، والسكن والطبابة. وهو يوحي، أيضاً، بتأكيد الاستنتاج الأساسي الذي قام عليه خيار الجنوب العالمي، أن لبنان، وأي بلد في أطراف النظام الرأسمالي العالمي، مقابل الانهيار بمجمله، ليس معزولاً عن بنية النظام العالمي، بل أن أزماته المحلية مرتبطة ومترابطة بأزمات وتحولات النظام الدولي.

وجوهر الفكرة يوحي، ربما أهم من أي شيء آخر، بصحة خيار المقاومة تاريخياً. فالمقاومة استندت منذ البداية إلى مبدأ رفض القبول والتسليم بمنطق نهاية التاريخ، وما انطوى عليه من افتراض نهائي ومطلق بانتصار هذا النموذج، وبالتالي ضرورة التكيف معه والاستسلام لمقتضياته، كما فعل الكثيرون فعلاً. فبعد ثلاثين عاماً فقط من إعلان نهاية التاريخ، وهي فترة قصيرة جداً بالمعنى التاريخي، أصبحت نهاية هيمنة القطب الواحد، وسقوط سردية نهاية التاريخ، واقعاً تاريخياً وحقيقة لا يمكن تجاهلها. وبالتالي، فإن السؤال الذي على العرب، أكثر من غيرهم، الإجابة عنه ومواجهته الآن، ليس فقط علاقة هذا التحول الاستراتيجي العالمي بمكانة وقوة الكيان الصهيوني فقط، بل وأيضاً بوجوده بحد ذاته. فإن كانت بنية النظام الكوني شهدت تحولاً جذرياً خلال أقل من ثلاثين عاماً، وانقلبت معها أيضاً مكانة ودور القوة الأكبر التي عرفها التاريخ، فما الذي يبرر الاستمرار بالنظر إلى الكيان الصهيوني باعتباره استثناء، وما الذي يبرر عزله عن كل هذه التأثيرات والتداعيات البنيوية التي ستفرضها على كل مكونات النظام الدولي؟

سنين قليلة فقط ستمضي، ولن يبقى هذا السؤال دون إجابة. سنين قليلة ستمضي وسيزول هذا الكيان، كما زال النظام القطبين ونظام القطب الواحد بعده. فتجربة السيد الشهيد تعلمنا، كما يعلمنا التاريخ، خطأ الاستسلام لأيديولوجيا نهاية التاريخ. حينها، سيكتب المؤرخون القصة من جديد. سيكتبون أن قائداً عربياً مسلماً عظيماً قاد المقاومة في مقابل كل منظومة القوة الكونية، حين استسلم وخضع كل العالم. سيكتبون أنه وقف بعدها بثماني سنين فقط منتصراً، في 26 أيار 2000 في بنت جبيل، معلناً «أن إسرائيل» أوهن من بيت العنكبوت». فكان حجة العرب والمسلمين. سيكتبون أنه كان منذ البداية «ينظر بكل يقين، فيرى، خلف هذه القطع المظلمة من الليل المدلهم، أن هناك فجراً للنصر سيبزغ، وأنّ هناك شمساً للعدالة والحق، ستشرق على كل هذا العالم»، فكان معجزة الثورة العالمية.

هُوَذَا مَا نَزَلَ بِنَا أنه بِعَيْنِ الله!

*كاتب عربي

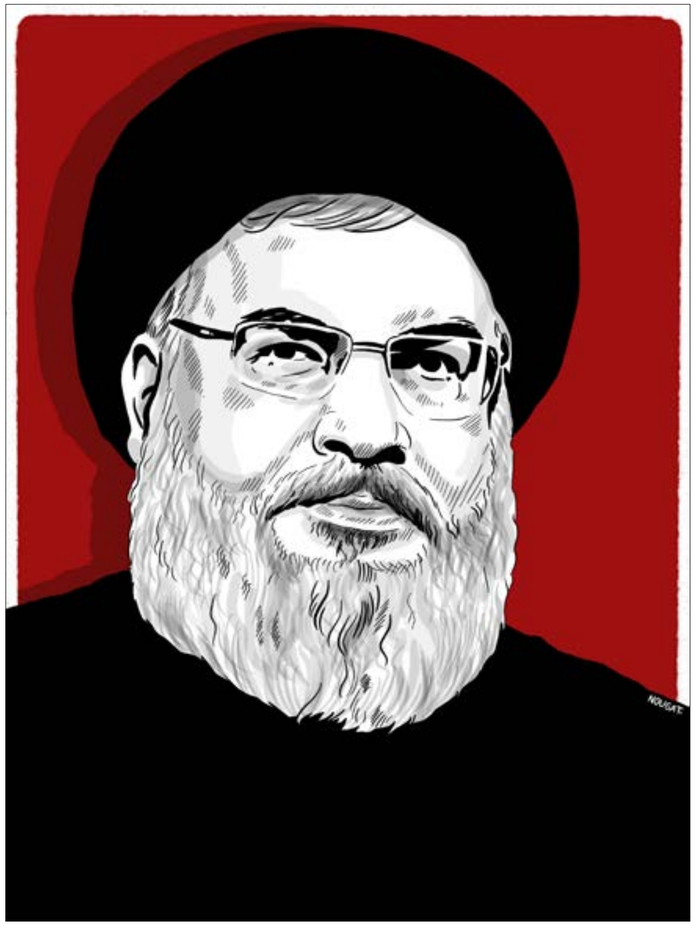

ذكرى

تشييد ضريح السيد حسن مُعلّق

زينب حمود

بعد سنتين على استشهاد السيد حسن نصرالله في 27 أيلول 2024 بغارة من 81 طناً من المتفجّرات استهدفت مكان تواجده، لا تزال الإنشاءات المحيطة بضريحه عبارة عن هياكل حديدية، ولم يُشيّد في المكان أيّ جدران أو أعمدة من إسمنت، فإعمار المرقد مُعلّق إلى حين انطلاق

يقول جواد نصرالله: «يبقى إعمار المرقد مُعلّقاً حتى تُعمّر منازل أبناء الجنوب والضاحية والبقاع»

عملية إعادة إعمار كلّ ما دمّره العدوان الإسرائيلي في حربي 2024 و2026، ويدمّره اليوم في احتلاله للجنوب. وعائلة السيّد، المعنيّة مباشرة بتطوير وبناء مرقده ترى أنّ تشييده بالحجارة وإقامة القباب أمر لن يُرضي السيد حسن ما دام الناس نازحين وبيوتهم مُدمّرة.

على الأرض وبحسب المتابعين، العمل قائم على إعداد المخطط التوجيهي لمرقد السيد، إنّما مع وقف تنفيذ للأعمال في المرحلة الحالية، إذ أطلقت «لجنة الإشراف والمخطط التوجيهي للمرقد» ورشة إعداد التصاميم الهندسية لتشييد المرقد وتوسعته، وجمعت الدراسات لإضافة أقسام جديدة إليه، كما التبرعات المُخصصة لتنفيذ المخططات. ولكن، صافرة الانطلاق لم تُطلق بعد بسبب الظروف الأمنية والمادية. وعليه، يبقى المرقد بالشكل الهندسي الحالي والمساحة الحالية، مع إحداث تغييرات طفيفة من حين إلى آخر.

العامل الذي يحيل دون إحداث تغييرات ضخمة على المرقد، تشمل عملية إعماره، هو عاطفي وأخلاقي بالدرجة الأولى. فـ«لو أن أحدهم تبنّى عملية بناء المرقد على نفقته الخاصة، يبقى إعمار المرقد مُعلّقاً حتى تُعمّر منازل أبناء الجنوب والضاحية الجنوبية والبقاع»، يؤكد جواد نصرالله، نجل الشهيد. وينقل نظرة عائلة الشهيد التي تساوي «بيت السيد» بـ«بيوت الناس المُدمّرة المتضرّرة». برأي جواد، «السيد كان يشعر بأوجاع الناس، ويطمئن باستمرار عن أحوالهم، ويراعي مشاعرهم في حياته، وقدّم دمه بينهم ولأجلهم». لذلك، لن يرضى أن تُنفق الأموال على تحسين شكل ضريحه ومرقده، بينما الناس نازحون وينتظرون إعمار منازلهم.

أمّا التخطيط لشكل المرقد النهائي، فسبق مرحلة الدفن. وهنا، يوضح المنسّق العام للذكرى الثانوية الثانية لاستشهاد السيد والمتابع لشؤون المرقد ضمن لجنة الإشراف، الشيخ علي ضاهر، أنه «لم نشتغل بمراسم التشييع، ولم يضغط علينا ضيق الوقت أو تأخر الدفن في تحديد مكان الضريح المناسب ضمن مساحة العقار التي تساوي 14 ألف متر مربع، وإنما فكّرنا ملياً في اختيار أنسب موقع لمركز القبر، ضمن رؤية مستقبلية مُحدّدة للمرقد». وبعد بضعة أشهر من التشييع، وتراجع زحمة المعزّين القادمين من داخل لبنان وخارجه، «بدأ التفكير جدياً في وضع مخطط توجيهي للمرقد، يقسمه إلى أقسام متعدّدة تؤدي وظائف متكاملة، وتعكس جوانب شخصية السيد المشتعّبة، بحيث لا يكون المرقد فقط مكان لقاء مادي بالسيد، بل فضاءً يلتقي فيه الفكر والروح».

وبعد نقاشات طويلة حول المخطط والأفكار والمشاريع المطروحة، انطلقت عقب العدوان الإسرائيلي الأول، واستُكملت بعد العدوان الثاني، تبلورت ملامح المخطط التوجيهي للمرقد. ومن بين أبرز هذه الأفكار: أولاً، إنشاء متحف لأغراض السيد الشخصية، مثل ثيابه، ولا سيما آخر عباءة احتضنت جسده قبل الشهادة، وثيابه العسكرية، والإكسسوارات التي كان يضعها كالخاتم، والنظارات، والسبّحة التي كان يحملها، والسجدة... وسيكون المتحف امتداداً لمعرض مقتنيات السيد الذي افتُتح أمس في المرقد، ويستمر خلال فترة إحياء ذكرى استشهاده. وبينما يحتوي المعرض على نحو 16 غرضاً شخصياً للسيد (قلم، ساعة، خاتم، لباس، طاولة، سبّحة...)، وُضعت داخل السيارة التي حملت نعشه يوم التشييع، مؤقّتاً، «سيعرض المتحف عدداً أضخم من مقتنيات السيد، وبشكل دائم، داخل حرم المرقد».

ثانياً، إطلاق «مؤسسة حفظ ونشر تراث السيد»، في السادس من تشرين الأول المقبل، والتي ستقع ضمن محيط المرقد، وهي هيئة بحثية علمية تجمع إرث السيد من الخطابات العلنية والخاصة، وأبحاثه، ومقابلاته. ويحظى التوثيق للذاكرة الشفهية باهتمام كبير، سواء لدى من التقى السيد من رؤساء دول وشخصيات رفيعة المستوى، أو من أفراد عائلته ومن عمل معه وعاشره، وكذلك كل من جمعته به لقاءات ويرغب في تسجيل خاطرة عنه. على أن يشكّل جمع هذا الإرث أرشيفاً خاماً لأي إنتاج بحثي أو أدبي أو فني، من مؤلّفات وأبحاث ووثائقيات ومُدوّنات وبودكاست، وأي محتوى آخر عن السيد، يمكن أن يطلبه الطالب أو الباحث أو مُعِدّ المادة من المؤسسة مباشرة.

ثالثاً، تدرس «لجنة الإشراف والمخطط التوجيهي للمرقد» تخصيص مساحات تأخذ المرقد لتكون داراً للقرآن الكريم، أشبه بمعهد للتعليم والتجويد، تنفيذاً لوصية السيد التي كرّرها بشأن عدم إهمال القرآن الكريم. بالإضافة إلى تأسيس مكتبة عامة تخصصية تضم عدداً كبيراً من المراجع والكتب في مختلف المجالات، وتستهدف فئات عمرية متعددة، مع إتاحة الاستعارة والقراءة داخلها، ورقياً وعبر المنصات الإلكترونية. كذلك تدرس اللجنة إنشاء قاعة مُخصصة لعقد الندوات والمؤتمرات المتعددة الأغراض.

سيُترجم عدد من هذه الأقسام، وفق الإمكانات المتوفرة، من دون أن يرافق ذلك تنفيذ بنائي في المرحلة الحالية، إذ يُعوَّل تنفيذ المخطط الهندسي إلى حين توفّر الاستقرار والميزانية اللازمة. وقد شُكّلت، في هذا السياق، لجنة هندسية تضم عدداً من أبرز المهندسين اللبنانيين الذين تطوّعوا وقدّموا، انطلاقاً من روح السيد، مخططات معمارية وعروض تصاميم متعدّدة، غير أنها لم تُناقش حتى الآن.

وفي هذه المرحلة من عدم الاستقرار، «نجود بالموجود»، كما يقول ضاهر. ويتحدّث عن إحداث لمسات جمالية بسيطة وتغييرات طفيفة لا تتوقف داخل المرقد، منها توسعة المساحة المُغلقة إلى نحو الضعف (من نحو 1100 متر مربع إلى نحو 2000 متر مربع)، إلى جانب أعمال البلاط، وتحسينات في الديكور الداخلي، والتكييف المركزي، وزيادة المساحات الخضراء، مع الإشارة إلى مشروع إدخال العنصر المائي إلى المرقد «لا يزال قيد الدرس».

ومع كل حجر تضعه اللجنة، أو زخرفة على الحائط، أو شجرة تزرعها في محيط المرقد، يُفحص مستوى «التناغم مع شخصية السيد». ولذلك يعبّر الزوار باستمرار عن الأنس الذي يحسّونه داخل المرقد، وتالفهم مع أي تغيير يطرأ عليه. وهذا يحيلنا إلى قرار عائلة السيد تأجيل إعمار المرقد إلى حين إطلاق ورشة إعمار ما هدّمه العدو في كل لبنان، حتى يبقى السيد في عيون محبيه هو نفسه، ويبقى مرقده أميناً في نقل إرث السيد العظيم.

مرقد السيد حسن نصر الله من الخارج (هيثم الموسوي)

تمويل الأعمال في المرقد

«يُموّل المرقد نفسه بنفسه»، يقول المنسّق العام للذكرى الثانوية الثانية لاستشهاد السيد والمتابع لشؤون المرقد ضمن لجنة الإشراف، الشيخ علي ضاهر. وتصل الأموال من خلال التبرعات التي تَرد من الداخل والخارج، سواء عبر صناديق التبرع في المرقد أو عبر إدارة المرقد. ويشير ضاهر إلى وجود نوعين من التبرعات: المادية المباشرة والهدايا العينية التي تغطي حاجة المرقد من السجاد، والكراسي، والورود المُستخدمة في أعمال الزينة أثناء المناسبات.

رأينا انعكاس صورتنا في نظّارة السيد

فؤاد بزي

في الضاحية الجنوبية لبيروت شباب عرفوا الشهيد السيد حسن نصر الله، نظروا في عينيه مباشرةً لا عبر شاشة، مشوا قربه في المسيرات، ورفعوا قبضاتهم تحت منبره على ملعب الراية قبل أن يتحوّل ترابه الأحمر إلى مجمع سكني شاهق. مدة ما قبل حرب تموز 2006 لا تشبه كلّ ما أتى بعدها، منذ 20 سنة كان السيد

عاشوراء كانت موسم الاقتراب من السيد لأقصى الحدود الممكنة

يتجوّل في الضاحية بأريحية نسبية، يفتتح مسجد القائم، أو يحضر في تخريج الطلاب الجامعيين في مجمع سيد الشهداء، فيصافح شخصياً المئات من الخريجين.

هؤلاء هم شباب من جيل نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، الأحياء منهم اليوم يصل عمرهم إلى الأربعين سنة، وهم من الذين عاينوا مدة صعود الحزب بعد تحرير عام 2000 وقاتل عدد منهم في حرب تموز 2006، فشاهدوا الضاحية تبنى وتدمر، ثم تبنى من جديد قبل أن يعود العدو ويدمر أجزاء منها في الحروب الأخيرة. هذا الجيل عرف السيد عن قرب، قبل أن يتحوّل الظهور العلني للسيد إلى «خبر عاجل» على الشاشات، فكانوا يحاولون الاقتراب من منصته ومكان وجوده في كلّ نشاط يقيمه حزب الله ويحضره السيد. فهم أصحاب القبضات المرفوعة والصيحات العالية بين أبنية الضاحية الجنوبية بـ«لبيك يا نصر الله»، وآخر من خرج في تظاهرات عفوية من الجامعة والثانويات، وجرّوا الناس خلفهم.

صاحب العباءة الواسعة

كان السيد نصرالله، ولا يزال، حاضراً في القوانين التنظيمية الداخلية التي تدير عمل المؤسسات والوحدات في حزب الله، سواء كانت تنظيمية مدنية أو عسكرية. الرجل الذي قضى 32 سنة في سدّة أعلى منصب في هيكل الحزب، حاول أن يدمج ثنائية في عقل التنظيم، وهي المؤسسة والتنظيم، بمعنى آخر، السيد منع حزب الله من التحوّل إلى شركة عمياء، ذات مجلس إدارة. لا ترى الأفراد وحاجاتهم، ويمنع في الوقت نفسه الحزب من التحوّل إلى تنظيم ضيق، حتى على مستوى الطائفة.

بالنسبة إلى السيد، فإن الحزب لا يعادي أحداً ابتداءً، بل بعد التعرّف إليه، فهو منفتح على التواصل مع الجميع، حتى مع أدّ الخصوم. ولن يعرف الحزب قبل السيد وبعده، بدرك تماماً أنّه أحضر الحزب إلى لبنان وأدخله في المجتمع اللبناني مع الحفاظ على خصوصيات التديّن والالتزام الديني، حتى إنّ هذه السياسات أسهمت في توسعة دائرة الحزب، لتشمل حتى الأشخاص غير الموافقين على مبدأ «ولاية الفقيه» الذي يعدّه الحزب عماد العمل التنظيمي والعسكري. بعد حرب تموز 2006 توسّع الحزب تحت ضغط «عودة العدو إلى الحرب»، ما ألزمه بحملة تعبئة، وتجنيد للشباب، وقد أشرف عليها في تلك الأيام الشهيد عماد مغنية. هذه التعبئة دفعت المقاومة إلى تبنّي آليات عمل غريبة فكرياً على العقل الثقافي فيه، حيث لم يجد حزب الله العدد الكافي من «المشايخ المُعمّمين» من داخل بيئته التنظيمية ليواكبوا هذه الأعداد الكبيرة من الأفراد ثقافياً، فضلاً عن إدارة المساجد في المناطق الجديدة التي دخل إليها الحزب. وبحسب تقديرات الحزب لا يزيد عدد علماء الدين المُعمّمين الشيعة عن الألف في كلّ لبنان، وأقل من 60% منهم يتبعون الحزب تنظيمياً. هنا أشار السيد على الوحدة الثقافية بضرورة «توسعة عباءتها»، فأزال العوائق التنظيمية التي تمنع غير المنتمين لحزب الله من علماء الدين من الدخول إلى الجسم التنظيمي. «توسعة العباءة» هذه لم تفهمها الوحدات الإدارية في الحزب مباشرةً، والتي كانت تعمل منذ 3 عقود على فكرة واحدة مفادها أنّ الفرد في حزب الله عليه أن يتصف بمجموعة من المواصفات التنظيمية والعسكرية والدينية، وإلّا فلا يمكن له العمل داخل الجسم التنظيمي. ولكن كان للسيد رأي آخر، وبالنسبة إليه، فإن هذه القيود تحدّ من قدرة الحزب على الوصول إلى أوساط جديدة، والأساس هو توسعة قاعدة المقاومة ما أمكن داخل لبنان عامة، وفي المجتمع الشيعي خاصة. هنا، سحب السيد صلاحية أئمة المساجد من الوحدات الإدارية ووضعها مباشرة تحت إدارته في مجلس الشورى. وجعل من رأي الوحدة الثقافية قراراً مُلزماً في العلاقة بين المُعمّم والحزب، وهو أمر يخالف كل البروتوكولات المُعتمدة في الحزب في التعامل مع الأفراد. كانت لدى السيد حساسية عالية للعلاقة التي تربط التنظيم مع المُعمّمين الشيعة، فهو كان يدرك تماماً أنّ واحدة من طرق شقّ الصف داخل الطائفة الشيعية تكمن في اللعب على حبل المدرستين في قم والنجف، وتفضيل كفّة مدرسة على أخرى. لذا، تعامل مع هؤلاء الأفراد على أساس «العباءة الواسعة» القادرة على ضم كلّ شخص لا يعادي الحزب، حتى لو كان توجّهه الفكري مغايراً تماماً للتوجه الفكري للتنظيم.

حين تسمو الفضائلُ فوقَ الخلافِ السياسيّ

محمد وسام المرتضى*

قلّةٌ من الناس يجعلون الزمن، في حياتهم وبعد رحيلهم، أكثر من مجرّد تعاقبٍ للأيام. يحفر عيشهم فيه أثراً لا ينتهي بانتهاء أعمارهم؛ لأنهم لم يكونوا لأنفسهم وحدها، بل لقضيةٍ آمنوا بها، وبذلوا في سبيلها كل شيء، حتى انتهوا إلى أقصى ما يستطيع الإنسان أن يقدّمه: حياته.

في هذا المشرق الأليم المألوم، كان الشهيد السيد حسن نصرالله في طليعة هؤلاء. رجل يصعب اختصار حضوره في موقعٍ سياسي، أو مركزٍ حزبي أو دورٍ عسكري أو خطاب. وفي سيرته ما يتجاوز هذه العناوين إلى معنى الإنسان الذي اختار أن يجعل من حياته شهادةً على ما يؤمن به.

صدقه، من صدق الرسول، الذي يجعل الكلمة عهداً، والموقف أمانةً، والوعد مسؤولية. يقول ما يؤمن به، ويؤمن بما يقول، ثم يدفع من حياته ثمناً لما قال وآمن. وكان زاهداً على طريق الإمام علي، الزهد الذي يحرّر الإنسان من أسر ما يملك، ومن إغراء ما يستطيع أن يملك، ومن الحاجة إلى أن يكون الموقع غايةً والمجد غنيمة والذات مركزاً لكلّ شيء. خفّف من نصيبه في الدنيا كلّما ثقلت عليه أمانة ما يؤمن به، راسخاً على عقيدةٍ تقود إلى التحرّر من الخوف على ما يملك، وتحرّر من التنازل عمّا يؤمن به. وكان مسيحياً في فدائيته، وحياته ليست أغلى من المبدأ الذي اختار أن يجعلها له. فكانت فدائيته وأجباً إيمانياً وثمرةً طبيعيةً لإنسان تعلّم أن يقلّل ما لنفسه، ليست اندفاعاً عابراً، ولا بطولةً تُطلب لذاتها. وعنده التقى الزهد بالفداء: حين يتخفّف الإنسان من التعلّق بنفسه إلى الحدّ الذي يصبح فيه قادراً على بذلها. وفوق ذلك، كان حسينياً في ثباته، وعندما تضيق به السبل، يصبح أكثر تمسّكاً بما يراه حقاً. والثبات لا يُختبر حين تكون الطريق مُمهّدة، ولا حين يكون الثمن قليلاً. وإنما حين يصبح الإيمان بما اخترته أثقل من قدرتك على الاحتمال.

تأتي ذكرى استشهاده هذه السنة، ولبنان في أمسّ الحاجة إلى هذا النوع من المعاني. بلدنا لا تنقصه أسباب الاختلاف؛ بل لعلّ الاختلاف جزءٌ من طبيعته، ومن تركيبته، ومن سرّ وجوده. لكنّ المشكلة في أن يتحوّل اختلافنا إلى خصومةٍ تُسقط عن المُختلف إنسانيته، وإلى قطيعةٍ تجعل من الاختلاف هدماً لما بيننا من عيش ومصير.

لعلنا في هذه الذكرى، أن نتعلّم كيف نختلف من دون أن نخلّ بواجباتنا الوطنية، ومن دون أن نهدم ما يجمعنا، وأن نعرف أنّ الخصومة في السياسة لا تستوجب خصومةً في القيم، وأن الاختلاف في الخيارات لا ينبغي أن يحجب عنّا ما في الآخر من فضائل. ومهما يكن الرأي في المقاومة، ودورها وخياراتها، فإن لأصحابه حقاً مشروعاً في التعبير عنه ومناقشته؛ لكن هذا الحق لا يقتضي أن يُفسد شيئاً من واجب الإجلال لرجلٍ من لبنان، شهد له الجميع بالفضائل، عاش ومات على ما آمن به، ودفع حياته ثمناً لما اعتقد أنّه واجبه.

وأجمل ما يمكن أن تفعله هذه الذكرى، هو الخروج من حدود مناصري السيّد إلى رحاب لبنان كلّه؛ وأن يجد فيها كلُّ لبناني، أياً يكن انتماؤه أو موقفه، شيئاً من القيم التي لا طائفة لها: أن يكون صادقاً في قوله، أميناً في عهده، وفياً لمن أحبّه، ثابتاً حين يؤمن، وقادراً على أن يدفع من نفسه ثمن ما يعتقده حقاً. وليس مطلوباً من مسيحيٍّ أو مسلم، ولا من مؤيّدٍ للمقاومة أو معارضٍ لها، أن يستعير موقف الرجل أو أن يتبنّى خياراته كي يجد في سيرته ما يستحق التقدير. قد لا تجمعكم به الخيارات، لكن يمكن أن تجمعكم به القيم التي عاش لها، وما تركه في سيرته من معنى الإنسان الذي يفي بما يؤمن به. والإنصاف هنا ليس مجاملةً، فقد شهد للرجل العدوُّ قبل الحليف، بالصدق والأمانة والزهد والثبات والإقدام والوعي، وبملَكاتٍ قياديةٍ استثنائية. وقد يعيب عليه بعض اللبنانيين إسنادَه للمعذّبين في غزة، ولهم حجّتهم في أن الوحشية الإسرائيلية تمادت، وأن الحرب طاولت لبنان وكلّفته أثماناً باهظة. لكن يبقى من حقّ العقل، قبل العاطفة، أن يسأل السائل: ماذا عن كل ما قيل في أوساط العدو وداعميه عن أن الاعتداء على لبنان كان سيقع بإسناد أو من دونه؟ وماذا عن وصيّة القدّيس بولس التي تختصر، في عبارةٍ مسيحيةٍ عميقة، واجب نجدة الإنسان للإنسان: «أسندوا الضعفاء»؟ وهو معنى له نظيره في الموروث الإسلامي، حيث تتقدّم نصرة المظلوم وإغاثة المُستضعف بوصفهما من صميم إنسانية الإنسان.

ليس المطلوب أن نتفق على الرجل لكي ننتصفه، ولا أن نتفق مع خياراته لكي نُعلي ذكراه. والخصومة السياسية لا تعني إلغاءً للخصم، ولا يكون الاختلاف في الرأي ترخيصاً للجحود بنبل المرء وفرادته وعظمة كفاحه. ويحقّ للبنانيين أن يختلفوا حول المقاومة، لكن يليق بهم أن يتفقوا على احترام سيّدها؛ أن يختلفوا في السياسة من دون أن يختلفوا على قدر الرجل، وأن يحفظوا للخصومة حدودها وللشهادة حرمتها. فاحترام من نختلف معه ليس تنازلاً عن قناعاتنا، بل ارتقاءٌ بأخلاقيات اختلافنا.

وواجبٌ وطنيّ يفرضه علينا واقع أننا جميعاً ننتمي إلى وطنٍ لا يقوم إلاّ بتنوّعه؛ وهو تنوّعٌ يفرض، قبل أي شيء، احترام الآخر في قناعاته ومُقدّساته وشهدائه.

ولمريديه، يصحّ القول إن فقد السيّد ليس ألماً يعتصر القلب فحسب، وإن كان القلب لا يملك أمام غيابه إلاّ أن يتوجّع. الفقد، في معناه الأعمق، امتحانٌ للأحياء: هل تبقى المبادئ ثابتة حين يغيب شهيدها، وهل يستطيع الذين أحبّوه أن يحملوا ما حمله، وأن يثبتوا حيث ثبت، وأن يصبروا كما صبر، في زمنٍ لا يحتمل خفّةً ولا تسرّعاً، ولا يتّسع في المقابل لموارباتٍ أو تخاذلٍ أو تذبذب؟

الشهداء لا يتركون لنا الحزن لكي نقيم فيه، بل كي نعبره. ويتركون لنا ما آمنوا به أمانةً، وما ثبتوا عليه عهداً، وما بذلوه صوتاً يبقى صارخاً في الضمير. حضورهم لا يُقاس بما يتركه غيابهم في العيون من دموع، بل بما يوقظه غيابهم في الأرواح من مسؤولية. ولعلّ أصدق الوفاء لهم ألّا نبقى عند الحزن، بل أن نسأل أنفسنا: ماذا أخذنا من سيرتهم، وماذا حفظنا من أماناتهم، وماذا بقي فينا من ثباتهم حين جاءت ساعة الاختبار؟

فالشهيد، حين يغيب، لا يترك فراغاً في المكان فحسب؛ يترك امتحاناً في الإنسان، إذ يصبح غيابه سؤالاً موجّهاً إلى الذين بقوا: هل كان ما آمن به قادراً على أن يعيش من بعده؟ وهل كانت القيم التي دفع حياته ثمناً لها قد بلغت فينا من الرسوخ، ما يجعلها تستمرّ حين يغيب صاحبها؟ عندها لا يعود الوفاء أن نحفظ صورته في الذاكرة وأن نحيي ذكراه، بل أن نحفظ المعنى الذي عاش ومات من أجله في السلوك والموقف والضمير.

وبهذه المعاني كلّها يبقى الشهيد السيد مسيحياً في فدائيته، ومحمّدياً في صدقه وأمانته، علوياً في زهده وإيثاره وحسينياً في ثباته. ويبقى على الذين أحبّوه أن يجعلوا من غيابه مسؤوليةً لا مجرّد ذكرى، وأن يفهموا أن الوفاء الحقيقي ليس أن نحزن على من رحل فحسب، بل أن نحيا بما كان يرى أن الحياة تستحق أن نُبذل من أجله.

*وزير سابق

كلّ الخلافات حول المقاومة ودورها، لا تعني عدم احترام الشهيد السيد، وهو الذي يُقِرّ له الجميع، بالصدق والأمانة والتضحية

تقرير

السلطة تقايض على حساب تعويضات العمال
4 ليترات بنزين مقابل تسويات نهاية الخدمة

محمد وهبة، زينب بزي

سيحصل الأجراء على رشوة مجبولة بـ«خدعة» تطيح بتعويضات نهاية خدمتهم. هذه خلاصة الاجتماع الذي عقد أمس، برئاسة نائب رئيس الحكومة طارق متري مع ممثلي أصحاب العمل والعمال بحضور وزراء المال ياسين جابر والعمل محمد حيدر، والأشغال فايز رسامني والاقتصاد عامر البساط. فما وافق عليه أصحاب العمل في الاجتماع، ويفترض أن يقونن في لجنة المؤشر يوم الإثنين المقبل، هو تحويل بدل النقل إلى 4 أو 5 ليترات من البنزين، مع ترجيح 5، ولا أحد يعلم كيف تحتسب شهرياً، مقابل إعادة النظر بمشروع تسويات نهاية الخدمة أي ما تبقى من مدخرات العمال.

يأتي تحرك السلطة متأخراً بضع سنوات على انطلاقة موجة تضخم الأسعار المفرط، وعلى الخسائر التي لحقت بالأجور والمؤسّسات. ويأتي أيضاً متعامياً عن أصحاب العمل الذين عوّضوا خسائرهم بدولرة الأسعار، مقابل تصحيح مبتور للأجور. لكن يُحسب لأصحاب السلطة، أنهم لا يزالون على تواطئهم التاريخي مع أصحاب العمل.

ويُحسب لهم أيضاً، أنهم يواصلون السيطرة على الاتحاد العمالي العام باعتباره واحداً من أدواتهم لتنفيس الاحتقانات الشعبية عند الحاجة. كلّ المتواطئين، استفاقوا على أن الأجر يخسر، اليوم، من قيمته بسبب ارتفاع أسعار النفط. لكن لا أحد منهم يناقش بضرورة رسم سياسة للأجور والأسعار والإنتاج تحقّق مطالب الجميع، بل، تصرّ السلطة وأدواتها، على نقاش فتوي يمنح المطالب لفئة دوناً عن غيرها. وهذا ما حصل حين وافقت الحكومة بشكل مفاجئ وخارج أي توقعات، على منح العاملين في القطاع العام ستة رواتب أساس. صحيح أن أصحاب السلطة خدعوهم عندما قالوا «وافقنا على تسعة رواتب أساس»، لكن موظفي الدولة وعسكرها ومتقاعديها، ارتضوا في النهاية بالرواتب الستة. وها هو اليوم يُعالج بدل النقل من أجل ضرب عصفورين: كبح إضراب نقابات النقل، وكبح الأجراء عن أي مطالب بتصحيح الأجور. وغداً سيطالب آخرون، وستلبي السلطة ربطاً بسلّم النفوذ ورتبة الزبائنية لدى كل فئة.

هذا هو الإطار السياسي الذي تعمل السلطة على أساسه منذ عقود. لكن التوقيت يتعلق بالمعطيات على أرض الواقع. فقد نُمي على أهل السلطة في الأسابيع الأخيرة، أن هناك انفجاراً اجتماعياً سيحصل. ولُمس ذلك في جلسات مناقشة الحكومة، وربما في ما سبقها من تحرّكات على الأرض. لذا، اندفع رئيس الحكومة، مثلاً، لإلزام مجلس الإنماء والإعمار بتسريع تنفيذ تلزيم صيانة طرق النبطية «حتى لا يقال أنه لم يفعل شيئاً للجنوب». وها هو عضوٌ آخر في الحكومة يسارع إلى «تسوية» بين العمال وأصحاب العمل ونقابات النقل، تقوم على منح العاملين بأجر 4 ليترات من البنزين عن كل يوم حضور إلى العمل مقارنة مع 450 ألف ليرة حالياً، أي بزيادة 1,3 دولار عن كل يوم حضور. فعلاً لمسة مؤثرة من أصحاب العمل وأهل السلطة و«العمالي» أيضاً. بموجب هذه التسوية، سيدعو وزير العمل محمد حيدر لجنة المؤشر إلى الانعقاد يوم الإثنين لتكريس المتّفق عليه بمحضر رسمي يليه صدور مرسوم بتعديل صيغة بدل النقل.

في مقابل هذا «التنازل الكبير»، تلقى ممثلو أصحاب العمل، وعداً من نائب رئيس الحكومة بالعمل على إنتاج مشروع جديد لتسويات نهاية الخدمة. مطلبهم معروف منذ تلك النقاشات التي أفضت إلى إقرار قانون التقاعد والحماية الاجتماعية حين فاوضوا، آنذاك، مع رئيس الحكومة نجيب ميقاتي ووزيره نقولا نحاس على شطب التسويات. ولولا العناية الإلهية لكانوا نالوا مرادهم. فالنواب صوّتوا على القانون «على العمياني» لكن خطأ ما أفضى إلى ترك التسويات قائمة من دون شطبها. واليوم لديهم الغاية نفسها. صحيح أن بعضهم يقول

> **اتى اجتماع الحكومة بشأن بدل النقل والأجور متأخرا بضع سنوات على انطلاقة موجة التضخم المفرط**

أنهم يسعون إلى تقسيط التسويات، لكن هناك آخرين يقولون إن الهدف لا يزال في شطب قسم من تعويضات العمال.

وما حصل في جلسة أمس، بحسب المطلعين، أن أصحاب العمل، لا سيما نقولا شماس المعروف بـ«أبو رخوصة»، وزميله نبيل فهد الذي يمثّل أصحاب السوبرماركت حيث يحصي الأجير أنفاسه الأخيرة، بدأوا يتباكون عن الانهيار الحاصل وأثره على أعمالهم. يقولون إنها تراجعت 30%، لكنهم لا يفسّرون كيف يستورد لبنان كل هذه الكميات. في الأشهر الستة الأولى استورد لبنان بقيمة 8,5 مليار دولار. هل يخزّنون البضائع؟ وهذا يعني أن لديهم رساميل يراهنون عليها لتحقيق أرباح من التخزين والبيع اللاحق بأسعار أعلى. أم أنهم يبيعون كل الكميات التي تستورد، ما يعني أن أرباحهم لم تتراجع. التباكي هو شكل من أشكال الخديعة التي يمارسونها دائماً على حد قول عضو قيادي في الاتحاد العمالي العام.

لا شكّ بأن المخدوعين، أي عمال لبنان هم من يتلقون الضربة القاضية كل مرّة. الحسابات التي أجرتها «الأخبار» أظهرت أن أسرة من أربعة أشخاص تحتاج إلى ما بين 1400 و1500 دولار شهرياً لتغطية خمس حاجات أساسية: السكن، الغذاء، الكهرباء، المياه، والنقل. أمام فجوة بهذا الحجم، كان يفترض أن يكون النقاش في سياسة اقتصادية تعيد شيئاً من التوازن بين الأجور وكلفة المعيشة، لا في «ترقيعة» جديدة تعمّق المشكلة أكثر فأكثر. فلا تصحيح فعلياً للأجور، ولا معالجة لكلفة الخدمات الأساسية، بل تعديل شحيح لبدل النقل يمكن تقديمه للعمال على أنه إنجاز. والاتفاق يقضي بربط البدل بسعر أربعة ليترات من البنزين يومياً، بحيث يرتفع عندما يرتفع سعر البنزين وينخفض عندما ينخفض.

حالياً، يبلغ سعر الصفيحة نحو 32 دولاراً، أي أنّ الليترات الأربعة تساوي 6,4 دولارات، أو 570 ألف ليرة يومياً، مقابل 450 ألف ليرة حالياً، أي بزيادة فعلية تساوي 120 ألف ليرة، أو 1,34 دولار يومياً. لكن العمال يصلون إلى عملهم بالسرفيس الذي تبلغ تعرفته 400 ليرة لكل مرة إذا لم تكن المسافة بعيدة، أي أن كلفة الذهاب والغياب تبلغ 800 ألف ليرة يومياً، أعلى بـ40% مما هو مقترح. حتى في نموذج السيارة، لا تبدو الليترات الأربعة «سخيّة». إذ يقدّر أن استهلاك السيارة يصل إلى 119 ليتراً من البنزين شهرياً، من دون احتساب الصيانة والزيت والإطارات والتامين والرسوم والمواقف وانخفاض قيمة السيارة. أما أربعة ليترات عن 22 يوم عمل، فلا تتجاوز 88 ليتراً في الشهر. لا يجب أن نغفل بأن بدل النقل هو جزء من الأجر قررت السلطة أن تقسّمه لتتحكم فيه مع المتواطئين.

ولا يجب أن نغفل أيضاً أن تسوية نهاية الخدمة للأجراء تساوي الفرق بين قيمة التعويض المستحق للأجير وقيمة المبالغ المتراكمة في الصندوق لصالح الأجير جرّاء دفع الاشتراكات الشهرية. تدفع التسوية عند تحصيل التعويض فقط، وفي حال استحقّ للأجير مبلغ ذات قيمة أعلى من المبالغ الموجودة في الصندوق، على صاحب العمل دفع هذه الأموال التي تسمى بـ«التسوية». وبما أن فروقات سعر الصرف كان لها أثر على الأجور، فإن أثرها يمتد أيضاً على التسويات، إذ إن التعويض، وبالتالي التسوية، يدفع على أساس آخر راتب.

بحسب تقرير لمنظمة العمل الدولي، فإن قيمة التسويات المقدّرة والمتراكمة على أصحاب العمل تصل إلى 40 ألف مليار ليرة، أي ما يساوي 447 مليون دولار. وهذه المبالغ تراكمت نتيجة لأمرين لا دخل للعمال بها لتحمّل مسؤوليتها، الأول هو السياسة المالية السيئة للدولة والمصارف، والتي أدّت إلى الانهيار النقدي والمصرفي، والثاني هو قيام إدارة الضمان بتوظيف كلّ مدخرات العاملين على شكل سندات خزينة في المصرف المركزي، وصلت قيمتها قبل الانهيار عام 2019 إلى نحو 10 مليارات دولار. وكانت تشكل في تلك المرحلة «أكبر كتلة مالية داخل الصندوق، وقيمة حقيقية قادرة على تغطية التزامات التعويضات للمضمونين»، وفقاً لتقرير سابق للجنة الفنية في الضمان الاجتماعي. ولكن مع انهيار سعر الصرف، انهارت قيمة هذه المدخرات، وأصبحت اليوم تساوي 764 مليون دولار، ما يعني أنّها فقدت أكثر من 90% من قيمتها، «ما يجعل نظام التعويض عاجز عن توفير حماية فعلية للمضمون عند نهاية خدمته»، تقول اللجنة الفنية.

أشخاص يتنقلون سيرا على الاقدام في احد شوارع بيروت (مروان بو حيدر)

كلمات متقاطعة 5189

أفقيا

1- اديب مصري راحل – 2- دولة اسيوية – ماركة ساعات – 3- حشد كبير – رياضة عالمية تحتاج الى مرونة وليونة في الجسم – 4- دولة افريقية – ذاب الشحم – 5- حرّرت كلامها – 6- عاصمة جزر شتلند البريطانية – نوع مسدس – 7- تائه النظر – نوتة موسيقية – 8- حسب المال – نقد يحصل عليه العامل – أكل الأسد – 9- مدينة قديمة في روسيا – مقطوع اليد – 10- دولة عظمى – مدينة ساحلية ليبية وموقع عسكري خلال الحرب العالمية الثانية

عمودياً

1- مفتي طرابلس والشمال السابق – 2- مدينة فلسطينية – جهاز كهربائي – 3- إعلامية وخبيرة لبنانية في علم الماكرويايوتيك – أكل – 4- كثير وغزير – يُعالج بالعقاقير – 5- وعاء الخمر – ما فوق الفخذ – 6- عسكر – قطع اللحم الى قطع صغيرة – 7- يُصلح البناء – عاصمة بنغلادش – من الطيور – 8- عاصمة الموزامبيق – تقطع – 9- أول أفلام أم كلثوم السينمائية – مدينة باكستانية عاصمة البنجاب – 10- عائلة رئيس اميركي راحل – خلاف غرب

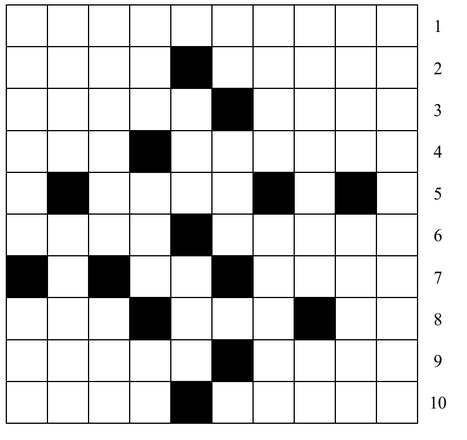

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- القبولة – 2- وترغايت – او – 3- يشمّ – لويس – 4- الب – ينتف – 5- نف – باب – أنا – 6- يارد – يم – سل – 7- وقرّ – مذود – 8- رهن – اودي – 9- بروبس – رنا – 10- قصر – جاكسون

عمودياً

1- اورانيوم – 2- لت – لفّاق – بص – 3- قريب – ر ر ر ر – 4- يغش – بد – هو – 5- لاميا – منبج – 6- وي – نبيذ – سا – 7- لتلت – موا – 8- وفا – دورس – 9- اي – نس – دنو – 10- يوسف التيّان

sudoku 5189

		2	3		7	9		4
		7				6		
9			6		2			7
	3						8	
	6		4	8	5		7	
	7						9	
4			7		6			3
	2			3			4	
7						2		

حلول الشبكة السابقة

8	1	3	9	5	2	4	6	7
6	5	4	7	3	8	9	2	1
7	2	9	1	4	6	3	8	5
5	3	8	6	1	4	7	9	2
1	7	6	2	9	3	5	4	8
9	4	2	8	7	5	6	1	3
3	8	1	4	6	7	2	5	9
2	6	5	3	8	9	1	7	4
4	9	7	5	2	1	8	3	6

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي اوعمودي.

كلمة السر 486

كلمة السر من 6 حروف: دولة عربية

الامارات – البحرين – الجزائر – اليمن – اسيا – تونس – جيبوتي – دولة – سوريا – شق – ظل – عراق – عمان – فلسطين – قطر – كويت – لبنان – ليبيا – مغرب – مصر – يم

ت	ا	ي	ت	و	ب	ي	ج	ة	ن
ا	ف	ل	س	ط	ي	ن	ل	م	ل
ر	ا	ي	ب	ي	ل	و	ي	ر	ا
ا	ت	ن	س	ا	د	ل	ع	ذ	ل
م	ي	ش	ا	و	ا	م	م	ا	ب
ا	و	ق	ب	ن	ر	ي	ا	ز	ح
ل	ك	ر	م	س	ب	ي	ن	ج	ر
ا	غ	ص	ن	ظ	ل	ل	ا	ل	ي
م	ر	و	أ	س	ي	ا	ر	ن	ا
ن	ت	د	ع	ر	ا	ق	ر	ط	ق

حلول الشبكة السابقة: لاعشوم

عملية حسابية 486

شروط اللعبة:
ضع الارقام المناسبة من 1 الى 99 في المربعات الفارغة للوصول الى حل العملية الحسابية

	–		٪		=	25
+	■	X	■	X	■	
	٪		X	16	=	64
٪	■	X	■	٪	■	
7	X		X		=	84
=	■	=	■	=		
13		48		12		

حلول الشبكة السابقة

23	+	24	–	6	=	41
X	■	X	■	X	■	
4	X	3	X	7	=	84
٪	■	٪	■	٪	■	
2	X	6	X	3	=	36
=	■	=	■	=		
46		12		14		

شبكة العنكبوت 486

إعداد نعوم مسعود

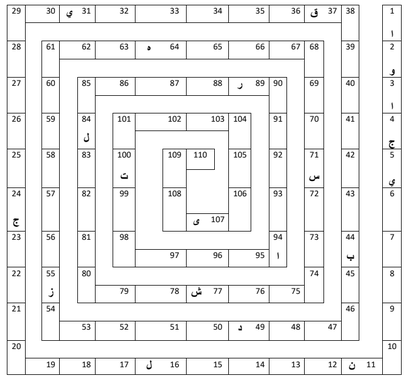

1 – 5 جزيرة يابانية
4 – 17 ممثلة انكليزية ابنة ممثل مشهور من ادوارها « دكتور جيفاغو »
16 – 31 رواية للكاتب المصري إحسان عبد القدوس تحوّلت الى مسلسل تلفزيوني
30 – 37 رسام كاريكاتور لبناني راحل
36 – 44 نبضات الفؤاد
43 – 55 ممثلة مصرية قديرة من أفلامها « العنب المر »
55 – 64 امير من القارة الفاتحين اشتهر بالخطابة والكرم وحسن الادارة
64 – 71 مدينة كندية عاصمة مقاطعة نوفاسكوتيا
70 – 81 ملك ساساني احد الأباطرة الأكثر شعبية في الثقافة والأدب الإيرانيين
80 – 84 بحر متفرع من المحيط الأطلسي يُعرف ببحر الكاريبي
84 – 87 عاصمة التبت البوذية
86 – 89 المتحدث ليلاً
88 – 91 رخام شديد الصلابة والصفاء
91 – 94 عاصمة لإتفيا
93 – 96 دولة افريقية
96 – 101 من اكبر مهندسي مصر القديمة بنى هرم سقارة
100 – 104 بلدة لبنانية في قضاء بنت جبيل
104 – 110 فنانة لبنانية من أغانيها « لو ما بتكذب »

حل شبكة العنكبوت السابقة

الاعمال – الاقتصاد في الاعتقاد – اديس ابابا – باراغواي – ايزابيل ادجاني – نيرمين الفقي – قيس بن الخطيم – مارغريت ناتشر – شربين – ناسا و – اوستراليتز – زاخو – خوفي – فيروز – وزير – بريفان – فانوس – سقطرى

شروط اللعبة

شبكة العنكبوت تتألف من 110 خانات مرقمة وداخل بعض الخانات تتواجد أحرف تساهم في تسهيل الحل بعد الإجابة على الأسئلة الموجودة أسفل الشبكة. الشبكة تعمل مثل عقارب الساعة إبتداءً من الرقم 1 الى الرقم 110

مشاهير 5189

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

رئيس وزراء عراقي سابق. رئيس تحالف النصر

5+6+7+8+4+2 = الرائحة العطرة ■ 1+3+11+10 = معدن صلب ■ 9+8 = والد

حل الشبكة الماضية: **مايكل لاندون**

في استثنائية العلاقات بين واشنطن وتل أبيب

سعد الله مزرعاني *

تشير أحداث ووقائع وسياسات ومواقف عديدة ومتراكمة إلى أن العلاقة بين الولايات المتحدة الأميركية خصوصاً (والغرب الاستعماري) والكيان الصهيوني، هي علاقة من نوع استثنائي. لا تُختصر هذه العلاقة بالمعادلة التقليدية القائمة بين الكبير والصغير، وبين الآمر والمأمور، وبين المشغّل وأدواته. يكتسب تناول هذا الموضوع، في الحقبة المعاصرة، أهمية وخطورة بالغتين بسبب تحوّله إلى عامل مؤثّر جداً في توليد أو تعميق أزمات كبيرة: متناسلة ومنتشرة ومتفاقمة أو مستعصية. لا تقتصر تلك الأزمات على فلسطين التي تمّ احتلال أكثرها وتشريد قسم كبير من شعبها، وملاحقة الفلسطينيين جميعهم الآن بالاغتيالات والتشريد والإبادة. تتداعى تلك الأزمان، عبر تفاعلاتها وتعقيداتها لتجعل من منطقة الشرق الأوسط حقل صراعات ونزاعات واضطرابات وتحوّلات وانتهاكات وحروب تتوسّع باطّراد.

في الأثناء، يجاهر قادة الكيان الصهيوني بمشروعهم التوراتي الأسطوري لإنشاء «إسرائيل الكبرى». وهو مشروع يتبلور عملياً (من خلال التوسع العدواني في فلسطين ولبنان وسوريا)، في كنف مشاريع أميركية استهدفت تكراراً «الشرق الأوسط الواسع». هذه المشاريع تقع، بدورها، في نطاق مشروع هيمنة كوني أميركي بدأ يتوسل القوة والعدوان، أداة أساسية في العلاقات الدولية، خصوصاً منذ غزو واحتلال أفغانستان (2002) والعراق (ربيع عام 2003).

المرحلة الترامبية دفعت المسار المذكور إلى حدّه الأقصى. الأسباب متعدّدة: تعاظم النزعة الأميركية للتفرد. تفاقم الأزمة الاقتصادية الأميركية. تصاعد النفوذ الصهيوني في الإدارة الأميركية عبر ترامب نفسه. شخصية ترامب النرجسية والمتعالية والجامحة. سيطرة أحزاب «الصهيونية الدينية» الفاشية العنصرية (بقيادة نتنياهو) على القرار في الكيان الصهيوني. دفع الرئيس ترامب، في ولايتيه السابقة والحالية، الدعم الأميركي للكيان الصهيوني، إلى ذروة غير مسبوقة عبر انضمام الجيش الأميركي إلى مغامرة عدوان الجيش الإسرائيلي الواسع على الجمهورية الإسلامية الإيرانية. أضفى ذلك على الصراع طابعاً دولياً: أولاً، بسبب انخراط واشنطن الكامل فيه، وثانياً بسبب صمود إيران السياسي والعسكري، ما أفشل ولا يزال خطط وأهداف واشنطن وتل أبيب. نجمت عن توسيع الصراع نتائج وأزمات كبيرة وخطيرة خصوصاً في سلاسل إمداد الطاقة والأسعار، فضلاً عن التوتر والصدام العسكريَّيْن المرافقيْن، ما قد يهدّد السلام العالمي برمّته!

يقود الرئيس ترامب هذا الصراع، منذ نحو سنة، بشكل مباشر. هو يختصر الحل بمطلب إسرائيلي محوري: منع إيران «من امتلاك السلاح النووي». هذا بالإضافة إلى مطالب إسرائيلية أساسية أخرى، أبرزها تجريد أطراف المقاومة من سلاحها خصوصاً في لبنان وفلسطين والعراق.

طبعاً، انخراط واشنطن في الصراع طرفاً داعماً وراعياً وحامياً ومحرّضاً (كما في عدوان 2006) للكيان الصهيوني، ليس أمراً جديداً. لماذا انتقلت واشنطن، الآن، إلى المشاركة العسكرية المباشرة؟ بكلام آخر، لماذا دفعت واشنطن علاقتها بتل أبيب إلى هذا المستوى النوعي والمثير -بالضرورة- للجدل، لماذا أصبح ترامب «أكبر رئيس أميركي داعم وصديق لإسرائيل» على حدّ تعبير نتنياهو؟!

لا يتسع المجال هنا لإيفاء هذا الموضوع حقّه. سنكتفي بالعناوين الأساسية:

- تضم الولايات المتحدة أكبر وأهم كتلة يهودية في العالم بكيان العدو. هجرة هائلة بعد الاضطهاد الأوروبي في القرن 19و1 هي التي دفعت معظم هؤلاء إلى بلاد «الفرص». حصل ذلك بتدخل نشيط ومُخطط له من قبل كبار المتموّلين اليهود الذين عملوا على خطّي دعم الهجرة إلى فلسطين في نطاق إنشاء «وطن قومي»، وبناء موقع مالي/ سياسي/ قيادي فاعل خصوصاً في نيويورك. اقترن ذلك بتمكّن عدد من كبار المتموّلين اليهود بالحصول على «وعد بلفور» في تقاطع مصالح مع المستعمر البريطاني الذي كان يخطّط للحفاظ على استمرار نفوذه وهيمنته بعد خروجه.

- تمكّنت الحركة الصهيونية من أن تقود الخطوات العملية التأسيسية. فرعها الأميركي أصبح الأقوى. نَقَلَ الرعاية والوصاية من لندن إلى واشنطن بعد الحرب العالمية الثانية.

- الرأسمال اليهودي اندمج واندرج بقوة في بنية الرأسمالية/الإمبريالية الأميركية. سيطر على قطاعات مهمة جداً في عالم المال والأعمال والإعلام والعلاقات الخارجية: في صيغة مافيات باتت عاملاً مهماً في التأثير على الانتخابات والمناصب الداخلية، وعلى السياسات والعلاقات الخارجية. نفوذ مركّز وهائل على الكونغرس بغرفتيه..هذا إلى إدارة مافيات أمنية وتجسّسية: سرقت الابتكارات العلمية. مارست الترغيب والترهيب لإيصال الرؤساء أو القادة، أو لاغتيالهم إذا لزم الأمر، كما حصل للرئيس كندي!

- تشجيع وتطوير «السيحية الصهيونية» وتحويلها إلى أكبر كتلة ناخبة أميركية (ستة ملايين). ما مكّنها لاحقاً من إنجاح رئيسين هما ريغان (1984) وبوش الأب (1988) (يراجع كتاب الباحث محمد نعمة فقيه – دار الفقيه للنشر 2025).

- تفاعل مباشر ما بين تحوّلات في البنية الأميركية وداخل كيان العدو أطلق مساراً متصاعداً لقوى «الصهيونية الدينية» التي تقود إسرائيل اليوم بزعامة نتنياهو وبدور كبير لبن غفير وسموتريتش (بدعم من السفير الصهيوني الأميركي هاكابي المؤيّد لإنشاء «إسرائيل الكبرى»).

ترامب وليد هذا المسار، ووليد الأزمة الاقتصادية، كما ذكرنا. وهو، قبل ذلك وبعده، شخصية إشكالية متعالية ومثيرة للاستغراب: منذ بدايته في جزيرة إبستين إلى استهلال ولايته الأولى بالانسحاب من الاتفاق النووي مع إيران، إلى تهديده المتكرر بمحو إيران عن الخارطة!

فلسطين وشعبها كانا الضحية الأساسية والأكبر لهذا المسار العدواني. دفعا أعظم وأفدح الأثمان وأكثرها هولاً. لكن هذا الشعب لم يقف يوماً مكتوف الأيدي. في مواجهة أبشع الجرائم، قدّم أروع التضحيات واجترح أعظم البطولات.

ثمّة نقيضان يشغلان العالم حالياً: الأول وحشية الإمبريالية الاستعمارية وهمجية وفاشية الحركة الصهيونية المُندرجة في صلب بنيتها الحالية (هذا السر الجوهري لقوتها). الثاني، بطولات وتضحيات وعدالة قضية شعب فلسطين وشجاعة داعميه الحقيقيين. رغم الآلام العظيمة، ثمة تحوّلات واعدة في كل مكان، أهمها في أميركا نفسها، وفي نيويورك، معقل الصهيونية الأكبر، بالدرجة الأولى! وهي تحوّلات كتبها الشهداء والمقاومون والصامدون... بأحرف من نار ونور تشعّ في قلوب وعقول كل أحرار العالم!

* كاتب وسياسي لبناني

التجوال بين اليسار واليمين في سيرة وليد جنبلاط [7]

أسعد أبو خليك *

هذه مراجعة مُسلسلة لمذكّرات وليد جنبلاط، «قَدَرُ في هذا المشرق: من الحرب الأهليّة إلى السلام المُستحيل»، في نسختها العربيّة.

قدّمت الجبهة اللّبنانيّة عرضاً بالكونفدراليّة مع النظام السوري (يقول كاظم الخليل إنّ الفكرة من عنديّاته لكنّ القيادة في الجبهة اللّبنانيّة لم تعترض عليها بل وافقت) لكنّ الأسد (خلافاً لما أوحى وليد جنبلاط في مذكّراته) لم يكترثْ للعرض ولم يسعَ إلى الوحدة مع لبنان. كان الأسد يفضّل السيطرة على لبنان لكنْ من دون تغييرات دستوريّة رسميّة في العلاقة بين البلدَين (ما خلا اتفاقيّات متنوّعة لم تصمد يوماً بعد خروج الجيش السوري من لبنان) إلّا في جعْل السياسة الخارجيّة والدفاع تخضع لمشيئة النظام السوري، وفي السيطرة على تعيين المسؤولين الخاضعين. والاقتصاد الرأسمالي المُتفلّت لم يكن يزعج النظام السوري الذي عرف كيف يستفيد من فساده، وبخاصّة أنّ نظام «البعث» ابتعد عن موضوع العدالة الاجتماعيّة التي كانت من سياساته في العراق وسوريا في الستينيّات والسبعينيّات.

في اللّقاء الأخير بين كمال جنبلاط والأسد ينسبُ وليد جنبلاط إلى الأسد قولَه لكمال جنبلاط: «يا أخ كمال، لا يمكنني تزويدك بالسلاح، فهذا يعني استمرار الحرب، وبالتالي تدخّل إسرائيل» (ص. 52). وكان الأسد يردّ على إصرار كمال جنبلاط على «مواصلة الهجوم على الكتائب». مرّة أخرى، يقدّم جنبلاط في مذكّراته (عفواً وليس قصداً) تفنيداً آخر لمقولة إنّ الخلاف بين الرجلَين كان حول الديموقراطيّة أو غياب الحرّيات. هذه لم تكن واردة كسبب أو عامل نزاع بينهما. لكن جنبلاط يقول إنّ كمال جنبلاط «لم يكن يعارض التقارب مع سوريا، بشرط أن يكون على أساس الديموقراطيّة واحترام الحرّيات العامّة» (ص. 52). هذا كلام يسري على مراسل غربي لا يعرف تفاصيل الوضع اللّبناني والسوري. أيّ حرّيات عامّة؟ ها قد روى جنبلاط أنفاً عن اللّقاء الأخير أنّ الخلاف بين الرجلَين تركّز على إصرار كمال جنبلاط على سحْق القوى الانعزاليّة ورفْض حافظ الأسد هذا التوجّه. هذا هو فحوى الخلاف. ويقول عن الأسد: «فالأسد كان معروفاً باستراسله منفرداً في الكلام من دون أن ينتظر جواباً من محاوريه». هذا غير صحيح. كلّ الروايات حول الأسد (حتى من قبل الصهاينة في الغرب بين المسؤولين) تقول إنّه كان مستمعاً جيّداً بالإضافة إلى استرساله في الحديث الطويل.

ويقول عن والده: «وعمل على تحقيق الاستقلاليّة في عمله السياسي، لكلا يقتصر اعتماده على الفلسطينيّين ذوي الأجندة السياسيّة الخاصّة بهم». وهذا صحيح عن كمال جنبلاط. أقام علاقات سياسيّة إقليميّة متنوّعة، وكان يزور عدداً من الدول العربيّة. ونشوب الحرب قلّل من ثقته بياسر عرفات. لكنّ سرديّة 14 آذار عن الحرب أصرّت على تصوير العلاقة بين كمال جنبلاط وعرفات على أنّها لم تكن تشوبها شائبة.

واغتيال كمال جنبلاط كان على الطريقة البعثيّة السوريّة حيث ترك الجُناة بصماتهم في مسرح الجريمة وتركوا لوحة سيّارة عراقيّة في «محاولة مفضوحة لتوجيه أصابع الاتّهام إلى الديكتاتور العراقي، وتضليل التحقيق» (ص. 53).

يقول عن إيران الشاه «كذلك لم تكن إيران ضالعة في الصراع اللّبناني» (ص. 53). هذا غير صحيح. كان نظام الشاه يقدّم مساعدات ماليّة للسياسيّين الموالين. ومذكّرات كاظم الخليل الأخيرة فيها الكثير عن مناشدات من الخليل للشاه لتقديم المزيد من المساعدات. والشاه دعم نظام شمعون بقوّة في حرب 1958 كما أنّه قدّم مساعدات عسكريّة وماليّة في الحرب الأهليّة. لكنّ الدور الإيراني كان مطموساً لأنّ الإعلام المهيمن يومها (مثل «النهار» وغيرها) كان راضياً عن هذا التدخّل في صالحه السياسي.

يتحدّث جنبلاط عن زيارة قام بها والده إلى فرنسا لحثّها على منْع القوّات السوريّة من دخول لبنان. لكن، هل الاستجارة بدولة غربيّة ضدّ النظام السوري يحمي لبنان من خروق السيادة أو من عدوان إسرائيل؟ وهل أنّ دول الغرب اكترثت يوماً لمصلحة لبنان بعيداً عن مصالح الغرب وإسرائيل؟ دول الغرب ساندت التدخّل العسكري السوري لأنّ ذلك كان بمباركة من إسرائيل.

ولا أدري لماذا اهتمّ جنبلاط (في مقابلته مع «الجزيرة» وفي الكتاب) بالاستشهاد الكامل بما دوّنه فرانسوا ميتران في يومياته عن لقائه الأخير مع جنبلاط (ص. 60). ليس في وصف ميتران ما هو مثير أو لافت أو لمّاح. على العكس، فإنّ تحليل ميتران للخلاف بين الأسد وكمال جنبلاط ينسبه لصراع الأقلّيات، والأعجب أنّ وليد جنبلاط يوافقه على ذلك. هو حيناً يُرجعه إلى تعلّق كمال جنبلاط بالحرّيات وحيناً آخر يعزو الخلاف إلى خطّة جنبلاط للقضاء على الانعزاليّين. والآن نقرأ أنّ السبب هو صراع بين أقلّيات. نظلم كمال جنبلاط لو قلنا إنّ قيادته للحركة الوطنيّة كانت بدافع طائفي محض (حتى ولو كان العامل الطائفي وارداً عند قيادات الحركة الوطنيّة). هذا ما يقوله خصوم كمال جنبلاط. كما أنّ كمال جنبلاط كان إصلاحيّاً ليبراليّاً وإراد بإخلاص إصلاح النظام السياسي اللّبناني وتطويره، لا نسْفه من أساسه ثوريّاً. خلافه مع «الكتائب» كان حول ذلك. لأنّ الانعزاليّين أرادوا أن يتشيّئوا بنظام الامتيازات الطائفيّة الإبرشاديّة. ويذكرُ وليد جنبلاط أنّ فرنسوا ميتران استقبل رفعت الأسد بحفاوة في 1984 بعد أن نُفي من دمشق. يتعجّب جنبلاط ويقول: «وحتى اليوم، لم أفهم سبب هذا التكريم من جانب رئيس اشتراكي، في بلد قدّم للعالم شرعة حقوق الإنسان» (ص. 64). لا يسعني إلّا أن أستغرب تعجّب جنبلاط. هو ليس ساذجاً ويعرف تاريخ الغرب الاستعماري ونفاقه. جنبلاط أنفاً عن اللّقاء الأخير أنّ الخلاف بين الرجلَين تركّز على إصرار كمال جنبلاط على سحْق القوى الانعزاليّة ورفْض حافظ الأسد هذا التوجّه. هذا هو فحوى الخلاف. ويقول عن الأسد: «فالأسد كان معروفاً باستراسله منفرداً في الكلام من دون أن ينتظر جواباً من محاوريه». هذا غير صحيح. كلّ الروايات حول الأسد (حتى من قبل الصهاينة في الغرب بين المسؤولين) تقول إنّه كان مستمعاً جيّداً بالإضافة إلى استرساله في الحديث الطويل.

ويقول عن والده: «وعمل على تحقيق الاستقلاليّة في عمله السياسي، لئلّا يقتصر اعتماده على الفلسطينيّين ذوي الأجندة السياسيّة الخاصّة بهم». وهذا صحيح عن كمال جنبلاط. أقام علاقات سياسيّة إقليميّة متنوّعة، وكان يزور عدداً من الدول العربيّة. ونشوب الحرب قلّل من ثقته بياسر عرفات. لكنّ سرديّة 14 آذار عن الحرب أصرّت على تصوير العلاقة بين كمال جنبلاط وعرفات على أنّها لم تكن تشوبها شائبة.

واغتيال كمال جنبلاط كان على الطريقة البعثيّة السوريّة حيث ترك الجُناة بصماتهم في مسرح الجريمة وتركوا لوحة سيّارة عراقيّة في «محاولة مفضوحة لتوجيه أصابع الاتّهام إلى الديكتاتور العراقي، وتضليل التحقيق» (ص. 53).

يقول عن إيران الشاه «كذلك لم تكن إيران ضالعة في الصراع اللّبناني» (ص. 53). هذا غير صحيح. كان نظام الشاه يقدّم مساعدات ماليّة للسياسيّين الموالين. ومذكّرات كاظم الخليل الأخيرة فيها الكثير عن مناشدات من الخليل للشاه لتقديم المزيد من المساعدات. والشاه دعم نظام شمعون بقوّة في حرب 1958 كما أنّه قدّم مساعدات عسكريّة وماليّة في الحرب الأهليّة. لكنّ الدور الإيراني كان مطموساً لأنّ الإعلام المهيمن يومها (مثل «النهار» وغيرها) كان راضياً عن هذا التدخّل في صالحه السياسي.

يتحدّث جنبلاط عن زيارة قام بها والده إلى فرنسا لحثّها على منْع القوّات السوريّة من دخول لبنان. لكن، هل الاستجارة بدولة غربيّة ضدّ النظام السوري يحمي لبنان من خروق السيادة أو من عدوان إسرائيل؟ وهل أنّ دول الغرب اكترثت يوماً لمصلحة لبنان بعيداً عن مصالح الغرب وإسرائيل؟ دول الغرب ساندت التدخّل العسكري السوري لأنّ ذلك كان بمباركة من إسرائيل.

ولا أدري لماذا اهتمّ جنبلاط (في مقابلته مع «الجزيرة» وفي الكتاب) بالاستشهاد الكامل بما دوّنه فرانسوا ميتران في يومياته عن لقائه الأخير مع جنبلاط (ص. 60). ليس في وصف ميتران ما هو مثير أو لافت أو لمّاح. على العكس، فإنّ تحليل ميتران للخلاف بين الأسد وكمال جنبلاط ينسبه لصراع الأقلّيات، والأعجب أنّ وليد جنبلاط يوافقه على ذلك. هو حيناً يُرجعه إلى تعلّق كمال جنبلاط بالحرّيات وحيناً آخر يعزو الخلاف إلى خطّة جنبلاط للقضاء على الانعزاليّين. والآن نقرأ أنّ السبب هو صراع بين أقلّيات. نظلم كمال جنبلاط لو قلنا إنّ قيادته للحركة الوطنيّة كانت بدافع طائفي محض (حتى ولو كان العامل الطائفي وارداً عند قيادات الحركة الوطنيّة). هذا ما يقوله خصوم كمال جنبلاط. كما أنّ كمال جنبلاط كان إصلاحيّاً ليبراليّاً وإراد بإخلاص إصلاح النظام السياسي اللّبناني وتطويره، لا نسْفه من أساسه ثوريّاً. خلافه مع «الكتائب» كان حول ذلك. لأنّ الانعزاليّين أرادوا أن يتشيّئوا بنظام الامتيازات الطائفيّة الإبرشاديّة. ويذكرُ وليد جنبلاط أنّ فرنسوا ميتران استقبل رفعت الأسد بحفاوة في 1984 بعد أن نُفي من دمشق. يتعجّب جنبلاط ويقول: «وحتى اليوم، لم أفهم سبب هذا التكريم من جانب رئيس اشتراكي، في بلد قدّم للعالم شرعة حقوق الإنسان» (ص. 64). لا يسعني إلّا أن أستغرب تعجّب جنبلاط. هو ليس ساذجاً ويعرف تاريخ الغرب الاستعماري ونفاقه. جنبلاط أنفاً عن اللّقاء الأخير أنّ الخلاف بين الرجلَين تركّز على إصرار كمال جنبلاط على سحْق القوى الانعزاليّة ورفْض حافظ الأسد هذا التوجّه. هذا هو فحوى الخلاف. ويقول عن الأسد: «فالأسد كان معروفاً باستراسله منفرداً في الكلام من دون أن ينتظر جواباً من محاوريه». هذا غير صحيح. كلّ الروايات حول الأسد (حتى من قبل الصهاينة في الغرب بين المسؤولين) تقول إنّه كان مستمعاً جيّداً بالإضافة إلى استرساله في الحديث الطويل.

ويقول عن والده: «وعمل على تحقيق الاستقلاليّة في عمله السياسي، لئلّا يقتصر اعتماده على الفلسطينيّين ذوي الأجندة السياسيّة الخاصّة بهم». وهذا صحيح عن كمال جنبلاط. أقام علاقات سياسيّة إقليميّة متنوّعة، وكان يزور عدداً من الدول العربيّة. ونشوب الحرب قلّل من ثقته بياسر عرفات. لكنّ سرديّة 14 آذار عن الحرب أصرّت على تصوير العلاقة بين كمال جنبلاط وعرفات على أنّها لم تكن تشوبها شائبة.

واغتيال كمال جنبلاط كان على الطريقة البعثيّة السوريّة حيث ترك الجُناة بصماتهم

> يُبدي جنبلاط حساسيّة صائبة ووعياً بخطط الصهيونيّة في تفتيت المنطقة وتجزئتها، وهذا سبب من أسباب معارضته القاطعة للخيار الدرزي الشعبي (السائد بعض الشيء في سوريا وفي لبنان) في التحالف مع إسرائيل

حياته الشخصيّة بصراحة كلبيّة.

يقول إنّ أنور السادات (ديكتاتور مصر في حينه) حذّر كمال جنبلاط في لقائهما الأخير قائلاً له: «يا أخ كمال. لا تعد إلى لبنان. أنت تبدو تعباً. ابقَ هنا في مصر» (ص. 59). وهل كانت مصر خارج «السجن العربي الكبير» الذي يقول وليد إنّ والده أراد الخروج منه في خلافه مع حافظ الأسد؟ وزار جنبلاط أيضاً العراق للقاء صدّام حسين الذي «كان يموّل قسماً من اليسار اللّبناني» (لكن جنبلاط في مقابلاته مع «الجزيرة» قلّل من حجم التمويل السخي، وقد ردّت ابنة عبد المجيد الرافعي -بالأرقام- على وليد جنبلاط في كلامه مع أحمد منصور من أنّ المساعدات الماليّة العراقيّة للحركة الوطنيّة كانت قليلة). صدام حسين (يصفه جنبلاط بـ«الديكتاتور العراقي» ما يطرح السؤال: لماذا لم ينل أيٌّ من حكّام الخليج وصْف الديكتاتور منه؟) قال لكمال جنبلاط: «عليكم خَوض حرب تحرير. فأجاب والدي: هذا ما نفعله» (ص. 59).

يتحدّث بصراحة عن الأحزاب اليمينيّة الانعزاليّة، ويقول في مقطع: «فنموذجهم كان، ولا يزال، إسرائيل». فأنا أعرف مثلاً بالمراسلات المتبادلة في خمسينيّات القرن الماضي بين كميل شمعون وموشيه شاريت» (ص. 62). وفي خضمّ الحرب الجارية على مدى السنتَين الماضيتَين، يظهر مدى إعجاب شخصيّات وأحزاب (مسيحيّة وغير مسيحيّة) بإسرائيل ويعبّر عن ذلك صفٌّ من الإعلاميّين والإعلاميّات التابعين لأنظمة السعودية والإمارات. يُبدي جنبلاط حساسيّة صائبة ووعياً بخطط الصهيونيّة في تفتيت المنطقة وتجزئتها، وهذا سبب من أسباب معارضته القاطعة للخيار الدرزي الشعبي (السائد بعض الشيء في سوريا وفي لبنان) في التحالف مع إسرائيل.

يقول جنبلاط إنّه لم يكن لديه أيّ خيار غير إعادة التحالف مع النظام السوري بعد اغتيال والده. والفريق الذي كان محيطاً بوالده وقادة الحركة الوطنيّة أيضاً كانوا مع التحالف مع النظام السوري، وإن تنصّل بعضهم منه في ما بعد (مثل محسن إبراهيم وتوفيق سلطان وفؤاد شبقلو ومحسن دلول). ويروي جنبلاط للمرّة الأولى عن شخص مدسوس يُدعى حافظ العجمي، وكيف أنّه دخل إلى الحلْقة الضيّقة لكمال جنبلاط وكان يحرّضه على مهاجمة الأسد بنبرة معادية للعلويّين كعلويّين. ويأسف وليد جنبلاط لانجرار كمال جنبلاط، وعدّ ذلك: «زلّة قاتلة ارتكبها أبي» (ص. 65). هذا اعتراف صريح ومهم. لكنّ من المستغرب أنّ شخصيّة سياسيّة ذات معرفة عميقة وتجربة سياسيّة كبيرة، مثل كمال جنبلاط، وقعت في حبائل مخطّط رجل مدسوس لم يكن معروفاً من جنبلاط من قبل. كيف لم تُرسم علامات استفهام حوله؟ ويقول جنبلاط إنّ ديبلوماسيّاً بريطانيّاً سأله عنه بعد سنوات من الاغتيال، ما أوحى أنّ استخبارات أجنبيّة كانت ضالعة. لكنّ جنبلاط لم يُرِدْ في الكتاب أن يربط بين الديبلوماسي البريطاني وعمليّة الاغتيال نظراً إلى علاقته أو معرفته بالشيخ المذكور (اسمه حافظ العجمي). يعتقد جنبلاط أنّ بريطانيا ربّما أرادت تضليل كمال جنبلاط لغاية خبيثة.

ملاحظة: يردّ في كتاب جنبلاط الكثير عن المجازر الطائفيّة التي ارتُكبت على أثر اغتيال كمال جنبلاط. ويعبّر وليد جنبلاط عن عميق أسفه لهذه المجازر. لكنّ هناك جانب آخر منها: يعترف القيادي العسكري القوّاتي، نعمة الله قاعي، في حديث أخير مع «نداء الوطن»، أنّ عناصر من «القوّات اللّبنانيّة»، بعد انتشائها بالغزو الإسرائيلي للبنان في 1982، صعدت إلى الجبل وأمعنت قتلاً بدروز باسم الثأر لمجازر 1977.

(يتبع)

* كاتب عربي

حسابه على إكس «@asadabukhalil»

صبراوشاتيلا [2] التخطيط والتنسيق

بدر الحاج *

«إن أشد حروبنا هي الحرب الداخلية، وهي آلمها وأمرّها، لأنها بيننا وبين فئات من شعبنا نعمل على رفعها وتعمل على خفضنا، نريد لها العز وتريد لنا الذل، نتوجه إليها بالاحترام وتتوجه إلينا بالاحتقار، نأتيها بالجدّ وتأتينا بالاستهزاء. إنها لحرب مؤلمة جداً لأنها بيننا وبين جماعة تريد أن تنتصر علينا وتخذلنا، ونريد أن ننتصر بها ونعزّزها» ــ أنطون سعاده

في الساعة الحادية عشرة ليل 12 أيلول 1982 تأكّد للإسرائيليين مصرع بشير الجميل في تفجير لمقرّ «الكتائب» في الأشرفية وفق ما جاء في شهادة وزير الدفاع شارون أمام لجنة كاهان للتحقيق. يقول شارون إنه كان من آخر مَن التقى بشير الجميل وناقش معه الأوضاع: «التقيت به مساء يوم السبت 12 أيلول، قبل يومين من مصرعه. في تلك الليلة بدأت المحادثات الساعة 11,30 مساء واستمرت حتى الساعة 0:45 صباحاً. وضعنا اللمسات التفصيلية الأخيرة على الاتفاقيات بيننا. ركّزت المحادثات على تنظيف بيروت الغربية من الإرهابيين»، ويختم: «فتحت الاتفاقيات التي توصلنا إليها فرصاً مذهلة لنا في بيروت». (ص 15-16).

هناك شرح مستفيض لما ورد في تقرير كاهان من وصف للخطر الذي تخوّف من وقوعه الإسرائيليون نتيجة مقتل بشير، والذي قد يؤدي إلى انهيار النظام السياسي والاتفاقيات والخطط مع «الكتائب»، والتي استغرق إعدادها والتحضير لها عدة سنوات. يتحدّث شارون أمام لجنة كاهان عن أنه: «في الساعة الثانية عشرة والنصف ليلة مقتل بشير، تواصلت مع رئيس الحكومة، واتخذنا قرار دخول غرب بيروت على أعلى المستويات بعد مناقشة الأمر مع قادة الموساد، وأنا، والشين بيت، ومستشاري رئيس الوزراء لشؤون الأرهاب» (ص 21). وعلى الفور تم نقل قوات إسرائيلية إضافية إلى مدرج خلدة، واستنفرت وحدات من الآليات، وبدأوا الدخول بسرعة إلى غرب بيروت في الصباح الباكر من يوم 13 أيلول. تمّ في تلك العملية التي لاقت بعض المقاومة احتلال تقاطعات الطرق الرئيسية والمواقع الضرورية لتأمين السيطرة، وتحاشى الجيش الإسرائيلي دخول المناطق ذات الكثافة السكانية لأنهم توقعوا قتالاً في شوارع ضيقة وبيئة معادية، ما سيؤدي إلى خسائر في صفوفهم. لذلك لم يدخلوا منطقة الفاكهاني ومخيمي صبرا وشاتيلا. وكانت تقارير المخابرات الإسرائيلية، كما جاء في شهادات كل من شارون وبعض ضباط المخابرات ونُشر بعضها في تقرير كاهان، تتحدث عن وجود ألفي مقاتل فلسطيني و7 آلاف من المقاتلين التابعين لأحزاب يسارية والمؤيدين للفلسطينيين في غرب بيروت، الأمر الذي قد يؤدي . وفقاً للإسرائيليين . إلى عرقلة أحد أهدافهم من الحرب وهو القضاء التام على الوجود الفلسطيني في لبنان». وكان بشير الجميل، كما ورد في شهادة أحد ضباط المخابرات الإسرائيلية الذي حضر اجتماع 12 أيلول، قد تحدث أمام الإسرائيليين قائلاً: «يجب أن نخلق الظروف التي تؤدي إلى مغادرة الفلسطينيين لبنان». وبدوره كان شارون في شهادته في جلسة حكومية في 13 أيلول قد لخّص أحد أهداف الحرب بقوله»: باعتقادي أن رأس الأفعى موجود في بيروت، ويجب علينا أن نقطعه».

كانت خيارات الإسرائيليين لدخول غرب بيروت والمخيمات ثلاثة:

الخيار الأول، هو الطلب من الجيش اللبناني التدخل، استناداً إلى أمر للجيش بدخول غرب بيروت سبق ليشير الجميل أن أصدره. تواصلت الاتصالات مع الجيش بإشراف الأميركيين لإقناعه بالتدخل. وكان رد زاهي البستاني على طلب تدخل الجيش: «سنحاول الحصول على غطاء رسمي وفي حال الفشل ستتولى القوات اللبنانية الأمر. ونحن بدورنا سنواصل سياسة بشير وتنفيذ ما تم من اتفاقيات». وصل رد الجيش اللبناني النهائي في 15 أيلول، كما ذكر شارون، وكان بالرفض.

أمّا الخيار الثاني، فهو أن يقوم الجيش الإسرائيلي بالاقتحام والقتال، وهذا ما استبعدته تماماً القيادة الإسرائيلية، كما سبق أن أشرت.

أمّا الخيار الثالث، فهو الاستعانة بـ«القوات اللبنانية». وهذا ما جرى.

في ليل 14-15 أيلول أقلعت طائرة رئيس الأركان الإسرائيلي ومجموعة من كبار الضباط نحو بيروت. التقوا فور وصولهم بقائد المنطقة الشمالية أمير درويي، وتوجهوا جميعاً الساعة 4:30 مساء للقاء قادة «القوات اللبنانية». وقد كشف رئيس الأركان ما جرى في ذلك اللقاء، في شهادته بأنه «أصدر الأمر للكتائب بإعلان التعبئة العامة، وفرض نظام منع تجوّل في المناطق التي يسيطرون عليها وأن يكونوا مستعدين للقتال وتنفيذ الاتفاق الذي جرى التوصل إليه مع بشير» (ص 210). وكان ردّ قادة «الكتائب» أنهم بحاجة إلى 24 ساعة كي تكون قواتهم جاهزة. كما طلب رئيس الأركان أيضاً من الكتائب إرسال ضابط ارتباط إلى المركز المتقدم لقيادة وحدة 96 التي يقودها الجنرال أموس يارون والذي كان يقع على بعد 200 متر جنوب غرب مخيم شاتيلا وعلى سطح مبنى مؤلف من خمس طبقات. كذلك اتفق على أن يداوم ضابط إسرائيلي في مركز «قيادة القوات اللبنانية». وتم إبلاغ قيادة القوات بأن الجيش الإسرائيلي لن يدخل المخيمات وأن القتال سينحصر بهم فقط (شهادة رئيس الأركان ص 212). كان التجاوب القوّاتي مع الطلب الإسرائيلي، كما يقول تقرير كاهان، قد أحدث جواً من التفاؤل لدى القيادة العسكرية الإسرائيلية (ص 212) .

قبل البدء بتنفيذ اقتحام المخيمات وبالتحديد ليل 15 أيلول، يذكر شاهد: «لوحظ هبوط متواصل لطائرات الهليكوبتر في مطار بيروت. وتبيّن أن الجسر الجوي كان يقلّ عناصر من جيش سعد حداد. تحرك أولئك العناصر ليلاً نحو مخيمي صبرا وشاتيلا وبدأوا بالقتل». أكّد ذلك أيضاً ضابط مخابرات إسرائيلي يوم الجمعة، ولا يعرف حتى اليوم ما إذا كان الإسرائيليون قد شاركوا في القتل أم لا. لكن لاحقاً ادّعى الإسرائيليون أن حداد وصل إلى بيروت، بقصد تعزية آل الجميل ثم غادر. الشاهد على تلك الليلة يقول: «إن عنصرين من جماعة حداد سقطا في المعركة أحدهما قتيل والآخر جريح قبل انسحابهم».

جاء في محضر الاجتماع بين شارون وبيار وأمين الجميل يوم 16 أيلول التالي: «توجه شارون في موكب نحو بكفيا للتعزية بموت بشير. كان الوفد الإسرائيلي يضم قادة أجهزة أنان، الموساد، والشين بيت. يذكر شارون أنه قدّم باسم الحكومة الإسرائيلية التعزية لبيار الجميل وابنه أمين الذي كان يجلس إلى يمين والده. ويضيف أن بيار الجميل كان متأثراً بتلك المبادرة، وشكر دولة إسرائيل على مساعدتها. وبدوره أعرب شارون له عن أن خسارة بشير خسارة لنا أيضاً، وأن الحكومة الإسرائيلية ستواصل تقديم أنواع الدعم كافة لتحقيق الأهداف المشتركة. ويقول شارون أيضاً: هكذا تحوّلت مناسبة التعزية إلى اجتماع عمل. كما لاحظ أن الجميل الأب والابن كانا على اطّلاع على بنود الاتفاق الذي جرى مع بشير يوم 12 أيلول، وأنهما رحّبا بنتائج الاجتماع وتحدّثا عن ضرورة طرد الفلسطينيين من لبنان، وتدمير مخيماتهم. وكان سبق للجنرال دايفيد ميمون أن أبلغ شارون برأي الجميل بالفلسطينيين كما أعلن شارون (ص 8).

دخلت «القوات اللبنانية» بيروت في الساعة السادسة من مساء يوم 16 أيلول. وكان قد سبق لقادتها أن اجتمعوا مع بيار الجميل فور التأكد من موت بشير. وتحدّث شاهد عن ما جرى في ذلك الاجتماع بقوله: «أعطى بيار الجميل، (بعضمة لسانه، على حد تعبير الشاهد) الأمر بدخول المخيمات وإنجاز المهمة».

نسّقت «القوات اللبنانية» عملياتها في المخيمات مع قائد الجبهة الشمالية أمير درووي. وعرضت «القوات» مخطط اقتحام المخيمين على درووي وقائد وحدة 96. اختار الإسرائيليون طريقاً غير الذي اقترحته «القوات» وطلبوا من قادتها أولاً تأمين المنازل حول المخيم الذي كان مُحاصراً من الإسرائيليين. كما قام الإسرائيليون بتأمين الخدمات الطبية في حال الحاجة إليها، والإضاءة أمام تقدّم «القوات». كما أعطيت التعليمات للجيش الإسرائيلي بالمساعدة في حال الضرورة (ص 21).

بعض تفاصيل الدخول إلى المخيمين والمجازر نُشرت في تقرير كاهان، ولا أرى ضرورة في تكرارها. لكن الشاهد العيان أشار إلى أن سلاح الهندسة في «القوات» عمد إلى تدمير بعض البيوت، وأن قادة محاور الهجوم الأساسيين كانوا مارون مشعلاني، جورج ملكو وميشال زوين. بعض هؤلاء نفى مشاركته لاحقاً. وشارك أيضاً إلياس الزايك. ويضيف الشاهد: «بعض ما جرى تحدّث عنه مراسلو الأخبار وتقرير كاهان. ومن الأحداث، على سبيل المثال، أن مجموعة من 14 فلسطينياً كانوا مختبئين في أحد المباني، أُطلقت النار على المبنى وخرجوا منه، فما كان من إلياس الزايك إلا أن أمر

الحدث

توسيع الحظر العراقي بأوامر أميركية
طهران تجهّز ردّها: طيران للجميع أو لا لأحد

بغداد – **فقار فاضل**

أكملت الحكومة العراقية استجابتها للضغوط الأميركية، بتمديد الحظر على الطيران الإيراني إلى مطارات النجف وأربيل والسليمانية، بعدما كان محصوراً في بغداد. وجاء ذلك في وقت توسّعت فيه تداعيات الحظر لتتجاوز قطاع الطيران، وتشمل حركة المسافرين، والسياحة، وشركات السفر. ويستثير هذا التمدّد مخاوف من انتقال الأزمة بين

> **التداعيات الأكثر حساسية قد تكون خارج قطاع الطيران**

بغداد وطهران إلى التجارة والطاقة ومجمل العلاقات الاقتصادية، في وقت يتجاوز فيه التبادل التجاري بينهما العشرة مليارات دولار سنوياً؛ علماً أن طهران حذّرت من أنه إذا تعذّر عليها تسيير الرحلات، أو الحصول على خدمات المطارات، فلن يتمكّن أحد في المنطقة من إتمام هذه العمليات أيضاً.

ودخل الحظر العراقي، أمس، مرحلة التنفيذ الكامل، بعدما أوقف مطار النجف الرحلات القادمة من إيران والمغادرة إليها، قبل أن تنضمّ مطارات إقليم كردستان إلى إجراءات وقف استقبال الناقلات الإيرانية. وتمثّل الحركة الجوية مع إيران جزءاً رئيساً من نشاط مطار النجف؛ إذ أظهرت جداول الرحلات، في أحد الأيام مثلاً، أن 18 من أصل 20 رحلة مُقرّرة، كانت متّجهة إلى مدن إيرانية، في ما يعكس حجم حركة الزوار والسفر بين الجانبين.

ويأتي توسيع الحظر استجابة لعقوبات أميركية أُعلنت في الثامن من أيلول الجاري، واستهدفت 36 جهة مرتبطة بقطاع الطيران الإيراني، بينها 27 شركة طيران، إلى جانب مؤسّسات ووسطاء يقدّمون خدمات للقطاع. وحذّرت الولايات المتحدة، لدى إعلان تلك الإجراءات، من أن الجهات التي تُواصل تقديم الخدمات للناقلات الإيرانية، قد تتعرّض للعقوبات، الأمر الذي وضع المطارات والشركات العراقية أمام معادلة صعبة، بين الاستمرار في التعامل مع الناقلات الإيرانية وتحمّل المخاطر المالية، وبين مقاطعتها والتسبّب في خسائر مباشرة في سوق تعتمد على حركة المسافرين والزوار.

وبالنسبة إلى شركات السياحة والسفر، جاءت الخسارة مباشرة، إذ يقول أحمد جبار، وهو صاحب شركة سياحة وسفر في بغداد، لـ«الأخبار»: «إن حركة الطيران مع إيران «حيوية جدّاً»، مشيراً إلى أن عمل شركته يعتمد على هذه الحركة بصورة كبيرة، وإن تداعيات القرار تطاول بالزوار، ولا سيما في النجف التي ترتبط حركة سياحتها الدينية بدرجة كبيرة بالسوق الإيرانية. لكن التداعيات الأكثر حساسية الحكومة بمعالجة آثار هذا القرار. ولا تتوقّف الخسائر عند مكاتب السفر؛ فالرحلات المُلغاة تعني تراجعاً في إيرادات المطارات، وشركات المناولة، والنقل، والفنادق، والخدمات المرتبطة بالزوار، ولا سيما في النجف التي ترتبط حركة سياحتها الدينية بدرجة كبيرة بالسوق الإيرانية.

دخل الحظر العراقي، أمس، مرحلة التنفيذ الكامل (من الويب)

تراجع التعويل على «دبلوماسية نيويورك»
أميركا للصين: أعِينونا على إيران

تَكشّف الحراك الدبلوماسي على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، في محاولة لإحياء المسار الدبلوماسي بين الولايات المتحدة وإيران، وإن من دون توقّع أيّ نتيجة إيجابية. وإذ قدّمت طهران مقترحاً يقضي بفتح مضيق هرمز بعد 7 أيام على استجابة واشنطن لشروطها، بدا أن الأخيرة لا تزال تراهن على استمرار الحصار البحري الذي تفرضه على الأولى، من أجل دفعها إلى التخلّي عن تلك الشروط. وأمّا الرهان على وساطة صينية بين الجانبَين، فقد تراجع هو الآخر، مع تأكيد الولايات المتحدة أنها تريد من الصين الضغط على إيران لفتح المضيق.

وأعلن وزير الخارجية الإيراني، عباس عراقجي، أن وفد بلاده قدم مقترحاً إلى الولايات المتحدة عبر الوسطاء، يقتضي تنفيذ عدّة شروط على مدار 7 أيام تفتح إيران في نهايتها مضيق هرمز. وأضاف أن مدة الأيام السبعة ستبدأ في اليوم التالي لموافقة واشنطن على المقترح، وأن طهران تفضّل استئناف المحادثات قبل انتخابات التجديد النصفي المقرّرة في الولايات المتحدة في 3 تشرين الثاني المقبل. واعتبر أن استعادة أمن الملاحة البحرية في المنطقة، تستلزم وقف واشنطن إجراءاتها «المزعزعة للأمن وإرهابها الاقتصادي».

إلا أن صحيفة «وول ستريت جورنال»، أكدت أن الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، لا ينوي رفع الحصار عن إيران. وقالت الصحيفة إن وسطاء عرباً يتلقّون رسائل متباينة من الدبلوماسيين الإيرانيين و«الحرس الثوري» في شأن إنهاء الحرب، وإن الأخير يستعدّ لحرب طويلة. وجاء ذلك في وقت دعا فيه رئيس الوفد الإيراني المفاوض، رئيس البرلمان، محمد باقر قاليباف، إلى تعزيز الوحدة الداخلية في إيران، معتبراً أن «شعبنا، بقيادة المرشد، سيتجاوز الأخطار والفتن القائمة»، مشيراً إلى أن «جميع الأعداء اجتمعوا في مواجهة شعبنا، في الحرب المركّبة الاقتصادية، والعسكرية، والثقافية».

وعلى صعيد الحراك المستمر في نيويورك، اجتمع الرئيس الإيراني، مسعود بزشكيان، برئيس الوزراء الباكستاني، شهباز شريف، الذي تقود بلاده جهود الوساطة. ونقلت

> **طهران تقترح على واشنطن الاستجابة لشروطها مقابل فتح المضيق**

الرئاسة الإيرانية، في بيان، عن بزشكيان تأكيده لشريف أهمية استمرار المبادرات الدبلوماسية لخفض التوترات. وقال بزشكيان، بدوره، للصحافيين، إن «إيران كانت مسبقاً منفتحة على مسألة تفتيش المواقع النووية، لكن أميركا وإسرائيل انتهكتا الاتفاقات الدولية عبر الحرب على طهران»، مضيفاً «أننا نجد صعوبة في فهم سبب مهاجمة أميركا لإيران، ونحن لا نريد سلاحاً نووياً». وأكد أن «هناك حالاً كبيرة من انعدام الثقة بين الولايات المتحدة وإيران، ومستعدّون لبناء علاقة قائمة على الثقة». وفي إطار حراك نيويورك أيضاً، بدا أن الثقة الأميركية – الصينية التي انعقد الرهان عليها، لم تنتج أيّ تقدّم في المسار الدبلوماسي، وذلك رغم دعوة الرئيس الصيني، شي جين بينغ، خلالها، إلى التوصّل إلى اتفاق بين واشنطن وطهران، والعودة إلى طاولة المفاوضات ومذكّرة إسلام آباد. وقال ترامب، من جهته، في تصريح، إنه بحث مع شي الوضع في إيران، و«(إننا) نبلي بلاء عظيماً»، لكن مصادر أميركية أفادت بأن الولايات المتحدة تراهن على التعاون مع الصين لتشديد الضغوط على إيران، وفتح مضيق هرمز، وهو ما لا يبدو قابلاً للتحقّق. وكان السفير الأميركي لدى الصين، ديفيد بيردو، قال، في مقابلة لشبكة «سي إن بي سي» الأميركية، إن بلاده «بيّنت للصينيين بشكل جلي، قبل أسابيع، أن أيّ مساعدة قد تقدّمها لإيران، سواء أكانت مباشرة أم غير مباشرة، وسواء تمثّلت في معلومات استخباراتية، أو قطع غيار، أو معدات عسكرية، فإنها مرفوضة تماماً»، مشيراً إلى أن «الرئيس ترامب جدّد هذا التأكيد في إطار رسالة مستمرة وثابتة».

(الأخبار)

التشدد الاميركي يحبط حراك نيويورك للتوصل إلى اتفاق ينهي الحرب (من الويب)

تقرير

معركة اليمين ضدّ «المحكمة العليا»
لا لعب في «الكنيست»

رام الله - **أحمد العبد**

فتحت «لجنة الانتخابات المركزية» في كيان الاحتلال معركة سياسية وقضائية حول تمثيل نحو مليون ومئتين وخمسين ألف فلسطيني في الداخل المحتلّ، بعدما قرّرت شطب القائمتَين العربيتَين الرئيسيتَين، وهما «القائمة المشتركة» و«القائمة العربية الموحّدة» (رعام)، إلى جانب شطب ترشيح سامي أبو شحادة وعوفر كسيف، من انتخابات «الكنيست» المُقرّرة في 27 تشرين الأول المقبل. ورغم أن القرار لم يبتّ بشكل نهائي حتى الآن، مع ترقّب كلمة «المحكمة العليا» الإسرائيلية» التي ستنظر في الطعون المُقدَّمة ضدّ قرارات اللجنة، فهو ينطوي على خطورة كبيرة في توقيته، كونه يأتي قبل أسابيع قليلة من انتخابات تبدو فيها الخريطة البرلمانية مفتوحة على أكثر من احتمال.

وفي هذا الإطار، أظهر استطلاع نشرته صحيفة «معاريف» العبرية، أمس، أن كتلة بنيامين نتنياهو ستحصل على 49 مقعداً، فيما ستتوزّع بقية المقاعد بين أحزاب المعارضة والأحزاب العربية وقوائم أخرى. وفي حين لا تملك أيّ كتلة، وفق الاستطلاع نفسه، أغلبية الـ61 مقعداً اللازمة لتشكيل الحكومة، بات حضور القوائم العربية داخلاً في صلب الحسابات الانتخابية، ولا سيما في ظلّ تقديرات بحصول القائمتَين العربيتَين الرئيستَين على نحو 12 مقعداً. إلّا أنه في حال تثبيت قرارات الشطب أمام المحكمة، سيغيب عن المعادلة الانتخابية جزءٌ وازن من التمثيل العربي المتوقّع بنحو 12 مقعداً، مع ما يترتّب على هذا الغياب من تغيير في الحسابات الانتخابية المتعلّقة بتشكيل الحكومة، علماً أن أيّاً من الكتل الصهيونية لا تبدي إلى الآن استعداداً للدخول في تحالف مع الأحزاب العربية. أمّا في حالة إلغاء قرارات «لجنة الانتخابات»، فمن شأن عودة القائمتَين المشطوبتَين، إلى السباق الانتخابي، أن يبقي التمثيل العربي عنصراً مهماً في الخارطة الانتخابية، من دون أن يعني ذلك تجييره سلفاً لمصلحة معسكر بعينه؛ إذ، إلى جانب الرفض العام لإدخال العرب في أيّ ائتلاف حكومي، تظلّ فاعلية «بيضة القبّان» الفلسطينية مرهونةً بنتائج التصويت العام وتوزيع الأصوات على بقية القوائم.

وبالعودة إلى قرارات «لجنة الانتخابات»، التي يغلب عليها ممثّلو أحزاب الائتلاف الحكومي، فإنها تكتسب بعداً يتجاوز الاستحقاق الانتخابي نفسه. وبالعد هذا، ظهرت مؤشّراته بوضوح خلال جلسات اللجنة التي عُقدت يومَي الأربعاء والخميس الماضيين، حيث شطب المسؤولون القائمتَين العربيتَين، فيما رفضوا، في اليوم التالي، طلبات شطب أحزاب يمينية ووسطية، بينها «عوتسما

> **ترتبط قرارات «لجنة الانتخابات» بتركيبتها التي يغلب عليها ممثّلو أحزاب الائتلاف الحكومي**

يهودية» بزعامة إيتمار بن غفير، وتحالف «الصهيونية الدينية - زيهوت» برئاسة بتسلئيل سموتريتش وموشيه فيغلين، وحزب «الديمقراطيين» بزعامة يائير غولان. ويأتي ذلك في ظلّ الصراع الداخلي المتواصل في إسرائيل منذ صعود حكومة بنيامين نتنياهو الحالية، التي دفعت بمشروع «الإصلاح القضائي»، وأطلقت مواجهة واسعة حول صلاحيات الحكومة و«الكنيست» و«المحكمة العليا»، ساعيةً لإعادة توزيع موازين القوى بين السلطتَين السياسية والقضائية. وبعدما تحوّلت «لجنة الانتخابات» إلى ساحة صراع

تقرير

أميركا تنقلب على البرهان
لا طرف «شرعياً» في السودان

الخرطوم - **مي علي**

صعّدت الولايات المتحدة لهجتها تجاه طرفَي الحرب في السودان، معلنةً أن كلّاً من الجيش و«الدعم السريع» وقادتهما لا يمثّلون «حكماً شرعياً ودستورياً» في البلاد. وقالت وزارة الخارجية الأميركية، في بيان، إن كلّاً من المذكورَين يحكم «بقوة السلاح وحدها»، وإن سلوك قائديهما يجعلهما غير مؤهّلَين لحكم البلاد، مضيفةً أن واشنطن تسعى إلى «استعادة السلام وإعادة السلطة إلى الشعب السوداني». وتابعت أن إدارة الرئيس دونالد ترامب «مستعدّة للعمل مع أيّ طرف يكون شريكاً جاداً لتحقيق السلام في السودان»، ملوّحة بزيادة «كلفة استمرار النزاع» على الأطراف المتحاربة والشبكات التي تغذّيه.

ويأتي الموقف الأميركي المستجدّ في ظلّ الضغوط التي تمارسها واشنطن لفرض هدنة إنسانية في السودان، وبالتزامن مع أزمة تأشيرة رئيس «مجلس السيادة» الانتقالي وقائد الجيش، عبد الفتاح البرهان، الذي كان مقرّراً أن يلقي كلمة السودان أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك، الخميس الماضي. ورهنت الولايات المتحدة إصدار التأشيرة للبرهان بموافقته على هدنة تمتدّ لـ90 يوماً اقترحها مستشار الرئيس الأميركي للشؤون العربية والأفريقية، مسعد بولس، وهو ما رفضه «مجلس السيادة».

وأثار هذا التصعيد موجة كبيرة من التساؤلات، لا سيما أن واشنطن سبق أن تعاملت مع مسؤولين في حكومة البرهان، فيما شارك الأخير نفسه في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة في السنوات الماضية. ففي عام 2023، حطّ قائد الجيش في نيويورك - بعد أقلّ من شهر على خروجه من مقرّ «القيادة العامة» الذي كانت «الدعم السريع» تحاصره، حيث ألقى كلمة السودان أمام الجمعية. وفي الدورة التاسعة والسبعين، عام 2024، وصف البرهان، في خطابه أمام الأمم المتحدة، «الدعم السريع» بأنها مجموعة «تمرّدت على الدولة ومؤسساتها».

إزاء ذلك، يرى محلّلون أن الإدارة الأميركية تسعى إلى انتزاع هدنة من طرفَي الحرب، بما يمكن أن يُحتسب ضمن جهود بولس، الذي كتب على منصة «إكس»، أن الشعب السوداني «يستحقّ هدنة إنسانية تتيح حواراً سودانياً». ويعتقد المتحدث الأسبق باسم الخارجية السودانية، السفير العبيد مروح، في حديثه إلى «الأخبار»، أن الهدف الرئيس من هذا التصعيد هو «ممارسة الضغط على الحكومة لقبول مقترح الهدنة الذي تقدّمت به واشنطن والمجموعة الرباعية»، مستبعداً، في الوقت نفسه، أن تكون الولايات المتحدة في «صدد فرض أيّ أطراف لحكم الشعب السوداني؛ إذ ليس هناك طرف قادر على التجاوب مع المطالب الأميركية غير الجيش والحكومة السودانية».

وإذ يلفت مروح إلى أن بيان الخارجية الأميركية «ترك الباب موارباً أمام احتمال أن تؤدي الضغوط إلى استجابة الحكومة السودانية وقبولها مقترح الهدنة»، فهو يوضح أن الحكومة «لم ترفض مبدأ الهدنة، لكنها وضعت شروطاً تحول دون تحوّلها إلى فرصة لالتقاط الدعم السريع أنفاسه والاستعداد لجولة جديدة من القتال». وبحسب مروح، يربط «المجلس السيادي» قبول الهدنة بخروج «الدعم السريع» من الأعيان المدنية، وتجميع قواته خارج المدن في معسكرات يجري تحديدها، وتجريد مقاتليه من السلاح الثقيل، تمهيداً لتسريح عناصره وإعادة دمجهم.

وبالعودة إلى حرمان البرهان من حضور أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، اعتبر حاكم إقليم دارفور، مني أركو مناوي -المشارك في أعمالها-، أن الخطوة تمثّل «إهانة لمعاناة شعب ظلّ يدفع ثمن الحرب، ويحرم الضحايا من إيصال أصواتهم إلى المجتمع الدولي». وتساءل مناوي، من أمام مبنى الأمم المتحدة في نيويورك، عن كيفية قبول الهدنة «بينما لا تزال مليشيات مسلّحة ومرتزِقة من دول الجوار يحتلّون منازل المواطنين ويستولون على ممتلكاتهم ويشرّدون الأسر من مناطقها». كما وجّه رسالة إلى «المجتمع الدولي»، قائلاً: «اسمعوا صوت الضحايا ولا تجعلوا معاناة أهلنا مجرّد أرقام في التقارير الدولية».

وفي موازاة ذلك، دعا «الاتحاد الأفريقي» إلى هدنة إنسانية فورية ووقف للأعمال العدائية في السودان، تمهيداً لوقف دائم لإطلاق النار. وقال رئيس «مفوضية الاتحاد الأفريقي»، محمود علي يوسف، خلال ترؤسه اجتماعاً مشتركاً لآليتَي الرباعية والخماسية المعنيتَين بالأزمة، إن المطلوب هو الانتقال من «مجرّد التقارب في المواقف إلى التنسيق العملي والتنفيذي». وشدّد يوسف على ضرورة إطلاق عملية سياسية شاملة يقودها السودانيون، تنتهي باستعادة النظام الدستوري، رافضاً أيّ مسار يقود إلى تقسيم البلاد.

سوريا

رواتب محدودة، خدمات متراجعة ولا دعم
السلطة تحمّل مواطنيها كلفة الفشل

عامر علي

بعد مرور نحو عام ونصف العام على بدء رفع العقوبات الاقتصادية الأميركية والأوروبية التي كانت مفروضة على سوريا، ونحو عامَين تقريباً على سقوط النظام السابق وصعود «هيئة تحرير الشام»، وما أعقب ذلك من تحوّل إلى الاقتصاد الحر من أبوابه الواسعة، تعيش البلاد على وقع أزمات اقتصادية ومعيشية متراكمة، تنذر، مع استمرار هذه الأزمات وزيادة حدّتها، بانفجار شعبي أكبر.

يمكن النظر إلى موجة الغضب الشعبي، التي أعقبت زيادة أسعار المحروقات بنسب وصلت إلى نحو 40 في المئة خلال الأسبوعين الماضيين -والتي تخلّلها قيام المئات بقطع الطرقات والخروج في تظاهرات احتجاجية في مناطق مختلفة، بدءاً من الشمال الشرقي وصولاً إلى أقصى الشمال الغربي-، باعتبارها أوّل ردة فعل شعبية من قبل المواطنين الذين لم يلمسوا أي تحسّن فعلي في مستوى المعيشة والخدمات، برغم الوعود البراقة التي أطلقتها، ولا تزال تطلقها، السلطات الانتقالية.

تكفي نظرة واسعة وسريعة على الأوضاع المعيشية، ومدى انعكاس القرارات الحكومية الجديدة على حياة المواطنين، ليظهر بشكل واضح وجود عدد كبير من الفجوات، بدءاً بالفجوة بين مستوى الأجور والمرتبات وبين تكاليف المعيشة التي أصبحت باهظة في ظلّ غياب الدعم الحكومي. فخلال عام 2025، رفعت السلطات الحدّ الأدنى للأجور بنسبة 200%، ثمّ أضافت زيادة جديدة بنسبة 50% في آذار 2026، ليصل هذا الحدّ إلى 12,560 ليرة سورية جديدة شهرياً، أي ما يعادل مليوناً و256 ألف ليرة وفق القيمة القديمة للعملة. إلا أن هذه الزيادات بقيت أقلّ من الارتفاع المتراكم في تكاليف المعيشة، كما أنها جاءت بعد عملية طرد ممنهجة للموظفين من المؤسّسات الحكومية التي جرت خصخصة قسم كبير منها، أو تخفيض عدد العاملين فيها، الأمر الذي يعني أن الزيادة لمست فعلياً شريحة صغيرة من المجتمع. وفي مقابل رفع الأجور، الذي لا يشمل العاملين بصورة غير نظامية أو المياومين، ويصعب التأكّد من تطبيقه في القطاع الخاص في ظلّ عدم وجود أجهزة رقابية حقيقية، بلغت سلّة الحد الأدنى للإنفاق لأسرة مؤلّفة من 5 أشخاص نحو 2,65 مليون ليرة قديمة في آذار 2026 -بحسب «برنامج الأغذية العالمي»-، أي نحو 26,500 ليرة جديدة -بعد ارتفاعها بنسبة 9% خلال شهر واحد-، وهو ما يعني أن الحدّ الأدنى للأجور لم يكن يغطّي سوى أقلّ من نصف الاحتياجات الشهرية الأساسية للأسرة، حتى بعد الزيادة الأخيرة.

الزيادات في الحد الادنى للاجور بقيت اقل من الارتفاع المتراكم في تكاليف المعيشة (أ ف ب)

والجدير ذكره، هنا، أن هذه الإجراءات ترافقت مع حصول السلطات الانتقالية على منحة قطرية وسعودية بقيمة 89 مليون دولار، تمّ تنفيذها عبر «برنامج الأمم المتحدة الإنمائي»، وخُصصت لتغطية جزء من رواتب العاملين في القطاعات الاجتماعية والخدماتية لمدّة ثلاثة أشهر. غير أن تلك المنحة، التي بدأ سريانها في تشرين الثاني 2025، انتهت بانقضاء مدّتها الأولية، من دون الإعلان عن تمديدها، الأمر الذي أعاد الأجور إلى ميزانية الدولة التي تعاني أساساً حال نقص كبير في السيولة، وفق تصريحات حكومية عديدة.

كذلك، حصلت السلطات على منحة أخرى من قطر لتغطية ثمن الغاز الذي تمّ استجراره من أذربيجان، والذي يغطي، وفق تصريحات صحافيين مقرّبين من السلطات، نحو ساعتَي تشغيل. لكن هذه المنحة توقّفت هي الأخرى، ما دفع السلطات إلى زيادة عدد ساعات التقنين، علماً أنه تمّ رفع أسعار الكهرباء في تشرين الثاني 2025 بنسبة وصلت إلى 60 ضعفاً. وبرغم إعلان السلطات وجود دعم بنسبة نحو 60 في المئة بالنسبة إلى الشريحة الأولى (تمّ رفع الأسعار وفق نظام الشرائح المرتبطة بالاستهلاك)، فوجئ المواطنون بصدور فواتير كهرباء غير مسبوقة وصلت إلى مئات الآف الليرات، وتجاوز بعضها المليون ليرة، الأمر الذي أضاف بدوره طبقة جديدة من الضغوط المعيشية على المواطنين.

وفي وقت لا تتوافر فيه أرقام حديثة لنسبة الفقر في سوريا، تُظهر آخر أرقام أممية، أصدرها «برنامج الأمم المتحدة الإنمائي» بعنوان «أثر الصراع في سوريا» (تمّ نشره في شباط 2025 واعتمد بيانات عام 2024)، ارتفاع نسبة السكان الذين يعيشون تحت خطّ الفقر من نحو 33% قبل الحرب إلى 90%، فيما وصلت نسبة الفقر المدقع إلى 66%. ونُشرت هذه الأرقام قبل عمليات الرفع المتتابعة لأسعار المحروقات التي أثّرت بشكل مباشر على جميع السلع، بما فيها الخبز الذي ارتفع سعر ربطته -بوزن 1500 غرام و12 رغيفاً- من 400 إلى 4000 ليرة، ثم خُفّض وزن الربطة في شباط 2025 إلى 1200 غرام، قبل تقليص عدد أرغفتها من 12 إلى 10 في تشرين الأول من العام نفسه، ويُصار تالياً إلى تخفيض وزنها مجدداً إلى 1050 غراماً في أيار 2026، وصولاً إلى 1000 غرام وثمانية أرغفة في حزيران من العام نفسه، مع إبقاء السعر عند 4000 ليرة. ويعني ذلك أن الرفع الأول المباشر للسعر تبعته زيادات غير مباشرة، تمثّلت في تخفيض الوزن وعدد الأرغفة. وتزامنت هذه الإجراءات مع إعلان «المؤسسة السورية للحبوب»، وهي الجهة الحكومية الرئيسة المسؤولة عن استلام القمح، في 5 آب الماضي، أنها استلمت 2,7 مليون طن من القمح خلال الموسم الحالي، أي ما يتجاوز حاجة البلاد السنوية المقدّرة بنحو 2,55 مليون طن، ويحقّق فائضاً قدره 150 ألف طن واكتفاءً ذاتياً للمرّة الأولى منذ عام 2010.

> **الاحتجاجات الاخيرة مؤشر الى غضب قابل للاتساع، إذا استمرّ تحميل المواطنين كلفة فشل الإجراءات الحكومية**

ورغم أن السلطات حدّدت سعر القمح بشكل جائر جداً على المزارعين الذين احتجّوا على الأسعار (46 ألف ليرة سورية جديدة، أي 4,6 ملايين ليرة قديمة) -وهو ما دفع الرئيس الانتقالي، أحمد الشرع، لاحقاً، إلى إصدار المرسوم رقم 120 لعام 2026، الذي منح بموجبه المزارعين مكافأة تشجيعية قدرها تسعة آلاف ليرة جديدة عن كلّ طن-، بدا مفارقاً عجز السلطات عن دفع ثمن القمح الذي استلمته من الفلاحين. وفي هذا السياق، تبيّن الأرقام الرسمية، في محافظة الرقّة على سبيل المثال، أن عدد قوائم فواتير شراء القمح الواردة إلى فروع «المصرف الزراعي» بلغت نحو 3600 قائمة حتى 17 آب، لكن مستحقات 1113 قائمة منها فقط كانت قد صُرفت؛ أي أقلّ من ثلث العدد الإجمالي للمستحقات. وفي الإطار نفسه، يقول مزارعون في الحسكة، في حديثهم إلى «الأخبار»، إن «معظم الفلاحين لم يستلموا ثمن القمح»، مؤكدين أن «السعر أساساً وكذلك المكافأة لم يوفّرا أيّ هامش ربح، بل يعتبر الأمر بالنسبة لكثيرين خاسراً».

هكذا، تُظهر الأوضاع الحالية أن الأزمة الاقتصادية لا تتعلّق بالعقوبات -بعد أكثر من عام على رفع الجزء الأكبر منها-، إنما بقدرة السلطات الانتقالية على إدارة الموارد المتاحة، والتي وصفها الشرع، خلال «القمة الإعلامية العربية» في دبي هذا الشهر، بأنها «كبيرة جداً»، وقادرة على إطعام نحو 70 إلى 75 مليون شخص من دون تقنيات زراعية حديثة، وأن هذه القدرة يمكن أن تتجاوز 100 مليون مع استخدام تلك التقنيات.

وعلى أيّ حال، فإن اعتماد الحكومة على منح مؤقتة لدفع الرواتب وتشغيل محطّات الكهرباء، بالتوازي مع عجزها عن تسديد أثمان القمح ورفعها أسعار الخبز والمحروقات والكهرباء، يكشف هشاشة الوضع المالي، ويضع السوريين أمام أعباء إضافية، ويزيد من اتساع الفجوة من جهة، ومستوى الدخل والخدمات من جهة أخرى. ومن هنا، تبدو الاحتجاجات الأخيرة مؤشراً أولياً إلى غضب قابل للاتساع، خصوصاً إذا استمرّت السلطات في تحميل المواطنين كلفة فشلها.

إعلانات رسمية

بلاغ رقم: 2/9

تُعلن وزارة الاتصالات بأنها ستضع قيد التحصيل اعتباراً من 2026/9/23 كشوفات فواتير الهاتف الثابت عن شهر آب /2026/.

بالإضافة إلى كشوفات الفواتير المُتأخرة غير المُسددة ولقد حُددت مُهلة أقصاها 2026/10/20 لتسديدها.

وتُذكر المُشتركين الكرام بالتدابير التالية:

في حال التخلف:

1 - تُقطع خُطوط المُشتركين المُتخلفين عن الدفع باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2026/10/21 وتُستوفى غرامة تأخير بقيمة /20,000/ ليرة لبنانية.

2 - تُقطع خُطوط المُشتركين المُتخلفين عن الدفع بالاتجاهين اعتباراً من تاريخ 2026/11/5 وتُستوفى رسم إعادة وصل الخط /11,000/ل.ل. اعتباراً من هذا التاريخ.

3 - تُقطع خدمات الاتصالات الجملة ((Wholesale بعد مُرور فترة (55) يوماً على بداية الشهر الذي يلي شهر إصدار الفاتورة (وليس تاريخ طرحها على الصندوق) وتُستوفى غرامة تأخير بقيمة 2% على مجموع الفاتورة غير المُسددة.

4 - يُعاد وصل الاشتراك بعد تسديد المُتأخرات المُستحقة إضافة إلى رسم إعادة وصل الخط /11,000/ ل.ل. وذلك حتى تاريخ الإلغاء النهائي.

5 - تُلغى جميع الاشتراكات بصورة نهائية اعتباراً من تاريخ 2027/2/22 وتُستوفى غرامة قدرها (2%) عن كُل فاتورة وتُحرر الأرقام المُلغاة وتُحصل المُتأخرات بالطرق القانونية المعمول بها استناداً إلى المادة /45/ من قانون المحاسبة العُمومية.

6 - يُحرم المُشترك المُلغى رقمه من الحُصول على اشتراك جديد قبل تسديد جميع الفواتير المُستحقة عليه.

مُلاحظة:

أ - تُقطع خُطوط المُشتركين المُتخلفين عن دفع فاتورة هاتف شهر تموز /2026/ باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2026/9/22.

ب - يُمكن للمُشتركين المُلغاة خُطوطهم والذين لم يُسددوا فواتيرهم المُتأخرة المُبادرة إلى تقسيط المُتأخرات في صناديق المناطق الهاتفية وفي مصلحة الشؤون المالية - مبنى وزارة الاتصالات، شارع رياض الصلح وإمكانية الحُصول على اشتراك جديد.

إمكانية تسديد الفواتير عبر الوسائل التالية:

* لدى أي صندوق من صناديق قبض الفواتير التابعة لوزارة الاتصالات على كافة الأراضي اللبنانية.
* لدى أي مصرف عبر توطين الفاتورة للاستعلام اتصل بمصرفك.
* لدى مكاتب شركات تحصيل الفواتير.
* عبر شبكة الإنترنت على موقع هيئة أوجيرو (ogero gov.lb).

كما تُذكر المُشتركين بأحكام المرسوم رقم 93/4565 (المادة الثالثة منه) وتعديله بالمرسوم /11682/ تاريخ 1998/1/30 لجهة تحديد مُهلة أربعة أشهر للاعتراض بعد انتهاء المُهلة المُحددة للدفع والمذكورة أعلاه، ووجوب تقديم طلب الاعتراض في المنطقة الهاتفية التابع لها رقم المُشترك.

يُطلب من المُشتركين الكرام التجاوب السريع مع مضمون هذا البلاغ شاكرين لهم حسن تعاونهم.

بيروت في 15 أيلول 2026
المُدير العام للاستثمار والصيانة
المُهندس باسل الأيوبي
التكليف 204

تعميم رقم: 2/1

مُوجه إلى المُشتركين الذين لديهم سنترالات أو تجهيزات داخلية مُرتبطة بخطوطهم الهاتفية.

عطفاً على التعميم السابق رقم 2/3 الصادر بتاريخ 2018/4/17 والتذكير بمضمونه بتاريخ 2020/2/18 نُوجه هذا التعميم الإضافي للتأكيد على ضرورة الالتزام بما ورد فيه من خلال مُعالجة مجموعة من الاعتراضات المُتعلقة بفواتير اتصالات دولية تعود بالإضافة إلى كشوفات الفواتير المُتأخرة غير المُسددة ولقد حُددت مُهلة أقصاها 2026/10/20 لتسديدها.

وتُذكر المُشتركين الكرام بالتدابير التالية:

في حال التخلف:

1 - تُقطع خُطوط المُشتركين المُتخلفين عن الدفع باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2026/10/21 وتُستوفى غرامة تأخير بقيمة /20,000/ ليرة لبنانية.

2 - تُقطع خُطوط المُشتركين المُتخلفين عن الدفع بالاتجاهين اعتباراً من تاريخ 2026/11/5 وتُستوفى رسم إعادة وصل الخط /11,000/ل.ل. اعتباراً من هذا التاريخ.

3 - تُقطع خدمات الاتصالات الجملة ((Wholesale بعد مُرور فترة (55) يوماً على بداية الشهر الذي يلي شهر إصدار الفاتورة (وليس تاريخ طرحها على الصندوق) وتُستوفى غرامة تأخير بقيمة 2% على مجموع الفاتورة غير المُسددة.

4 - يُعاد وصل الاشتراك بعد تسديد المُتأخرات المُستحقة إضافة إلى رسم إعادة وصل الخط /11,000/ ل.ل. وذلك حتى تاريخ الإلغاء النهائي.

5 - تُلغى جميع الاشتراكات بصورة نهائية اعتباراً من تاريخ 2027/2/22 وتُستوفى غرامة قدرها (2%) عن كُل فاتورة وتُحرر الأرقام المُلغاة وتُحصل المُتأخرات بالطرق القانونية المعمول بها استناداً إلى المادة /45/ من قانون المحاسبة العُمومية.

6 - يُحرم المُشترك المُلغى رقمه من الحُصول على اشتراك جديد قبل تسديد جميع الفواتير المُستحقة عليه.

مُلاحظة:

أ - تُقطع خُطوط المُشتركين المُتخلفين عن دفع فاتورة هاتف شهر تموز /2026/ باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2026/9/22.

ب - يُمكن للمُشتركين المُلغاة خُطوطهم والذين لم يُسددوا فواتيرهم المُتأخرة المُبادرة إلى تقسيط المُتأخرات في صناديق المناطق الهاتفية وفي مصلحة الشؤون المالية - مبنى وزارة الاتصالات، شارع رياض الصلح وإمكانية الحُصول على اشتراك جديد.

إمكانية تسديد الفواتير عبر الوسائل التالية:

* لدى أي صندوق من صناديق قبض الفواتير التابعة لوزارة الاتصالات على كافة الأراضي اللبنانية.
* لدى أي مصرف عبر توطين الفاتورة للاستعلام اتصل بمصرفك.
* لدى مكاتب شركات تحصيل الفواتير.
* عبر شبكة الإنترنت على موقع هيئة أوجيرو (ogero gov.lb).

كما تُذكر المُشتركين بأحكام المرسوم رقم 93/4565 (المادة الثالثة منه) وتعديله بالمرسوم /11682/ تاريخ 1998/1/30 لجهة تحديد مُهلة أربعة أشهر للاعتراض بعد انتهاء المُهلة المُحددة للدفع والمذكورة أعلاه، ووجوب تقديم طلب الاعتراض في المنطقة الهاتفية التابع لها رقم المُشترك.

يُطلب من المُشتركين الكرام التجاوب السريع مع مضمون هذا البلاغ شاكرين لهم حسن تعاونهم.

بيروت في 15 أيلول 2026
المُدير العام للاستثمار والصيانة
المُهندس باسل الأيوبي
التكليف 204

إعلان قضائي

صادر عن محكمة الإيجارات في طرابلس غُرفة القاضي ليا مارون.

إلى المُدعى عليه سعد الله كامل محمد / المجهول محل الإقامة.

تدعوك هذه المحكمة الحُضور إلى قلمها شخصاً أو بواسطة وكيلك القانوني لاستلام كافة أوراق الدعوى أساس 2025/172 المُقامة من المُدعين: كمال زاهر ورفاقه بوجهك طالبين فيها إلزامك بدفع /16,000$ أميركي كبدل مثل عن فترة إشغالك للمقسم 6 من العقار /3487/ زيتون طرابلس اعتباراً من 2024/6/14 حتى 2025/5/1 وتضمينك الرسوم والمصاريف كافة.

عليك أن تتخذ مقاماً مُختاراً لك ضمن نطاق هذه الدائرة وإلا فكّل تبليغ يتم لك في قلم المحكمة يُعتبر صحيحاً باستثناء الحُكم النهائي.

رئيس القلم
أحمد عبد الخالق

مقالة

الشرع في نيويورك: بداية المساءلة

فراس الشوفي

شكّلت زيارة الرئيس السوري الانتقالي، أحمد الشرع، إلى نيويورك، ومشاركته في أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة، محطّة جديدة، مختلفة تماماً عن زيارته العام الماضي. وبعدما برز في رحلته السابقة لقاؤه مع مدير «وكالة المخابرات المركزية الأميركية»، رافيد بترايوس، على هامش قمة «كونوردا 2025»، سُجّل هذه المرة خصوصاً لقاؤه مع الدبلوماسي الأميركي، بريت ماكورك، في «المجلس الأطلسي».

رغم أن الشرع حقّق، على مدى العام الأخير، مجموعة من الإنجازات الدبلوماسية والأمنية في داخل سوريا -ظاهرياً- وعلى مستوى علاقاتها الدولية، إلا أنه فعلياً دخل الآن مرحلة «الأسئلة والمراقبة»، وذلك بعد ما يقارب عامين من وصوله إلى السلطة، وانكشاف الكثير من الملفات التي تغاضت -ولا تزال- الدعاية المؤيّدة له في الإعلام العربي والغربي عنها. لم يقدّم الشرع أيّ جديد في خطابه الأخير في الجمعية العامة، سوى التخلّي عن مرحلة تبرير التاريخ، وخصوصاً كونه عضواً سابقاً في «تنظيم القاعدة» وقائداً لتنظيم «جبهة النصرة» الذي أزيل مؤخراً عن لوائح الإرهاب الأميركية. إلا أنه كرّر مجدّداً الكثير من الوعود الوردية التي كان عرضها العام الماضي أمام «المجتمع الدولي» -كمثل تلك التي يقدّمها للسوريين منذ عامين-، فيما بدت مقابلة ماكغورك، المبعوث الخاص للرئيس بارك أوباما لـ«التحالف الدولي لمحاربة داعش»، والمفاوض مع إيران، معه، كجلسة تحقيق، في ظلّ محاولة الأول استخراج أجوبة حقيقية منه عبر أسئلة محرجة دفعته إلى التبرير. وهكذا، اضطرّ إلى الدفاع عن نفسه من «بيعة القاعدة» وموقفه من هجوم 11 أيلول، في حين تخبّط في شرح شكل النظام الجديد ودوره فيه، من مثل موعد الانتخابات الرئاسية المقبلة ونيّته الاحتفاظ بالسلطة، وملف «مكافحة الإرهاب».

وهنا، يمكن القول إن أسلوب ماكغورك بدا مختلفاً كلياً عن التساهل الذي أبداه بترايوس في المقابلة المدروسة التي أعدّها العام الماضي، وكان هدفها استخراج أجوبة «مريحة» من الشرع، وذلك لطمأنة الأميركيين إلى «الحليف الجديد»، الذي يتبنّاه الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، وإدارته. فبينما كان ماكغورك الحليف الأميركي الوثيق لتنظيم «قوات سوريا الديمقراطية» (قسد) وحزب «الاتحاد الديمقراطي» الكردي، بدا بترايوس، على الضفة الأخرى، وهو يستلهم تجربته ومعرفته بالعراق، ليقرّر أن «هناك إرهابياً لا يمكن شراؤه»، وأن هناك إرهابياً يمكن شراؤه»، وأنه «لا بدّ من الاستثمار في الانتهازيين من الجهاديين السوريين الذين يبحثون عن المكاسب»، قاصداً بكلامه «جبهة النصرة» خصوصاً.

نتيجة اللقاء في «المجلس الأطلسي»، أحدثت امتعاضاً كبيراً لدى رموز الجالية السورية في الولايات المتحدة، ممّن أدّوا أدواراً في تأليب واشنطن على النظام السوري السابق، ويبذلون جهوداً كبيرة لتبييض صورة النظام الجديد ورأسه. إذ إن «الفقرات الحارة» من المقابلة -تحديداً كلام الشرع عن 11 أيلول و«بيعة القاعدة»- هي التي تداولها الأميركيون على نطاق واسع، وأكد الناشط في الجالية، محمد غانم، في منشور على صفحته على «فيسبوك»، أنها هي الأجزاء التي شاهدها موظفو البيت الأبيض. وبمعزل عن موقف ماكغورك الشخصي، وأهمية ما تمثله منصّة «المجلس الأطلسي» باعتبارها مؤسسة بحثية راسخة في التأثير في السياسات الأميركية، فإن ما طرحه الدبلوماسي الأميركي هو جزء من أسئلة بات كثيرون يطرحونها داخل الولايات المتحدة وخارجها، وبات البعض يعبّر عنها في العلن بعدما أخفوها، في المدة الماضية، تماشياً مع توجّه إدارة ترامب. وتمتدّ الأسئلة أيضاً حتى إلى أقرب حلفاء الشرع خارج الولايات المتحدة ووسائل الإعلام الداعمة له، حيث تدور الشكوك حول مستقبل سوريا وحقيقة الوضع الاجتماعي والسياسي والأمني والاقتصادي، ومستقبل النظام وشكله، وواقع القوات المسلّحة التي يبنيها الرئيس الانتقالي وملف الحرب على «الإرهاب». كما أن جرعةً مهماً أيضاً من هذه الأسئلة والإشارات، طرحته صحيفة «نيويورك تايمز»، قبل ثلاثة أيام، في مقالة للكاتبة كريستينا غولدبوم، التي تقود فريق التغطية السورية في الصحيفة، متحدّثةً عن خطورة الصراع التركي - الإسرائيلي، والخطوات التي تتّخذها السلطات الجديدة لمواجهة التحدّيات الاقتصادية والأمنية والاجتماعية.

> **اصطحب الشرع معه إلى نيويورك أكثر من أربعين شخصاً، مع ما يعنيه ذلك من تكلفة هائلة لا داعي لها**

وكما ازداد التدقيق في الخارج، ازداد تدقيق السوريين في الداخل، من الذين استبشروا خيراً بالشرع وقزورا منحه الفرصة لتنفيذ وعوده خلال العامين الماضيين، خصوصاً مع انفجار الأزمة الاقتصادية خلال الأسابيع الأخيرة، والقرارات العشوائية التي تتخذها الحكومة الانتقالية، واكتشاف زيف وعود التمويل والاستثمار، وتبدّد آمال إعادة الإعمار والتعافي الاقتصادي. ومما عزّز ذلك الامتعاض، طغيان مظاهر البذخ والغنى المستجدّ لدى غالبية المسؤولين في النظام الجديد، على مختلف مستوياتهم، في مقابل الفقر المدقع الذي يئنّ تحته ما يزيد على 90% من السوريين، وتخيير الناس بين «العدادات المسبقة الدفع» و«البطاقة الذكية».

ويترافق تبدّل النظرة هذا، مع وضوح في الموقف الإسرائيلي من النظام الجديد، وفشل تعويل الشرع على عقد اتفاقية أمنية مع تل أبيب، علّها تمنحه دفعاً دولياً جديداً وأماناً، وهي العلامة التي انتظرها كثيرون وخارجها، وبات البعض يعبّر عنها في العلن بعدما أخفوها، في المدة الماضية، تماشياً مع توجّه إدارة ترامب. وتمتدّ الأسئلة أيضاً حتى إلى أقرب حلفاء الشرع خارج الولايات المتحدة ووسائل الإعلام الداعمة له، حيث تدور الشكوك حول مستقبل سوريا وحقيقة الوضع الاجتماعي والسياسي والأمني والاقتصادي، ومستقبل النظام وشكله، وواقع القوات المسلّحة التي يبنيها الرئيس الانتقالي وملف الحرب على «الإرهاب». كما أن جرعةً مهماً أيضاً من هذه الأسئلة والإشارات، طرحته صحيفة «نيويورك تايمز»، قبل ثلاثة أيام، في مقالة للكاتبة

أصالة في دمشق، الذي أصرّت عليه السلطة ورفضه رموز السلفية، وأيضاً في الصراع بين «وزارة الأوقاف» والداعية المصري، هاني دهب، المعروف بـ«الشيخ الذهبي»، وهو صاحب أكبر حملات توزيع النقاب على السوريات. وجاء تسريب كلام المفتي أسامة الرفاعي -قبل نحو أسبوعين- الذي قال فيه إن الشرع ترك الوهابية والتحق بالأشعرية، ليصبّ الزيت على النار، ويعمّق من مأزق الرئيس الانتقالي مع السلفيين من دون أن يساعده في كسب دعم الأشاعرة. إذ إن هؤلاء يشعرون بأن «السلطة تلعب على الحبلين»، وأنها إمّا تسهّل للسلفية الانتشار بين السوريين أو أنها عاجزة عن تطويقها في ظلّ وجود مؤيدين كثر لها في داخل المؤسّسات الرسمية والقوات المسلحة.

كان يمكن للسوريين، بعد 15 عاماً من الحرب، المساومة على «العقد الاجتماعي» مع حكومة الشرع، والقبول بالتحولات الاجتماعية ومظاهر التديّن الزائدة، وتحمّل الانتهاكات اليومية التي تقوم بها القوات الأمنية والعسكرية التابعة للرئيس الانتقالي والجماعات المسلّحة المرتبطة بها، لا سيّما من البدو في الأرياف الشمالية وبعض الوافدين إلى دمشق، والتهديد والاعتقال والإخفاء القسري المستمرّ وتكميم الأفواه، وهو ما بات يطاول السوريين جميعهم، وخصوصاً من السنّة (بعد تراجع حدة الاحتكاك في المناطق ذات الغالبية العلوية رغم استمرار الانتهاكات، واستقرار ملف السويداء ودمج «قسد»)، لو أن شيئاً من الوعود الاقتصادية قد تحقّق، وظهرت للمواطنين مشاريع جادّة لتأمين المداخيل.

لكن، ما بات يقلق السوريين، أن السلطة الجديدة، تريد تكرار أساليب القمع وتوسيعها، وفرض نماذج اجتماعية معيّنة، وفوق ذلك سلب ما تبقّى للمواطنين من موارد، واستخدام أموالهم في شراء المواكب والمتلكات الخاصة، من دون أن تقدّم أيّاً من الحلول التي وعدت بها. فمن مظاهر الهدر، أنه وبينما كان ينتظر السوريون احتجاجاً على ارتفاع أسعار المحروقات غير المبرر والغلاء الفاحش الذي ضرب الأسواق، اصطحب الشرع معه إلى نيويورك، ما يزيد على أربعين شخصاً في الوفد الرسمي، مع ما يعنيه ذلك من تكلفة هائلة لا داعي لها، في الوقت الذي لم يتجاوز فيه عدد أعضاء وفود دول غنية ومؤثرة، أصابع اليد الواحدة.

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
السبت 26 أيلول 2026 العدد 5885

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن
شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01 /666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com
ملحق أسبوعي
كلمات
السبت 26 أيلول 2026
العدد 5885 السنة الحادية والعشرون
Samedi 26 Septembre 2026 nº 5885 21ème année

3-2

العبودية في العالم الإسلامي: 14 قرناً من القهر

المغرب

«بيت الشعر» يشقّ عصا الطاعة: لا للتطبيع!

أصدر «بيت الشعر» في المغرب أخيراً بياناً يرفض فيه القرار المفاجِئ للحكومة المغربية الذي قضى برفع التمثيل الديبلوماسي بين المغرب وإسرائيل من مكتبي اتّصال إلى درجة تعْيين سفيرين في كلٍّ من الرباط وتل أبيب.

يأتي هذا البيان في سياق تاريخي طويل الأمد، يعود به المؤرِّخون والمختصون إلى صفقة «بيع» الحسن الثاني ليهود المغرب للوكالة «اليهودية» التي جلبتهم إلى فلسطين المحتلَّة، لتمتد هذه العلاقة المشبوهة في عراقتها إلى تعاون الموساد والاستخبارات المركزية الأميركية وأجهزة نظام الحسن الثاني وأطراف من الاستخبارات الفرنسية في اختطاف وتصفية القائد اليساري الأممي المغربي المهدي بن بركة.

لكنَّ ثمَّة ماضياً قريباً أكثر إيلاماً يتمثّل في توقيع الحكومة المغربية (بقيادة رئيسها الإسلامي عن «حزب العدالة والتنمية» سعد الدين العثماني) على استئناف العلاقات الدبلوماسية ضمن الاتفاقيات «الإبراهيمية» في 10 كانون الأول (ديسمبر) 2020، لتتطوَّر إلى علاقات عسكرية واستيراد مواد فلاحية ومناورات مشتركة وسماح برسوّ سفن حربية وشحنات أسلحة في الموانئ المغربية. هذا ما أشار إليه بيان «بيت الشعر» بعبارة «القرار الخطير وما تضمّنه من إجراءاتٍ مُصاحبة، لنعتبره صكّ تبرئةٍ للكيان الصهيوني الغاشم الذي يُواصلُ يومياً جرائمَه الدموية واعتداءاته الوحشيّة على الشعب الفلسطيني في غزة، وهو ما يستدعي، في رأينا، وقْف كل أشكال التطبيع وممارسة الضغط لوقْف العُدوان وسياسة الاستيطان التي ينهجها الكيان الغاشم ضِدًّا على القانون والرأي العام الدوليين».

ووضع البيان إصبعه على الجرح والموطن الحقيقي للقرار السياسي في المغرب بمخاطبَته ملكَ البلاد بمهماته الدستورية وصلاحياته الدّينية والروحية والرمزية، خصوصاً بوصفه رئيس «لجنة القدس الشريف»، الذي «سيُقدِّر معنى الألم العميق الذي أحدثه قرارٌ مماثل في نفُوس شعبه ولدى نُخب بلاده الفكرية والثقافية والأدبية والشعرية».

ويأتي هذا البيان انسجاماً مع ميثاق «بيت الشعر» في المغرب، الرَّافض للتطبيع وتذكيراً بمواقفه الثابتة من القضية الفلسطينية التي يراها قضية وطنية وإنسانية ترتبطُ بالوجدان والضمير الشعبي المغربي. أمر عكسه عددٌ من الإشارات الرّمزية الدّالة لـ «بيت الشعر» في المغرب منذ تأسيسه سنة 1996. وقد عدَّد البيان بعضَها: اختيار الشاعر الفلسطيني محمود درويش عضواً في الهيئة الاستشارية، والاحتفاء بالشعرية الفلسطينية في آخر دورة لهذه الجائزة، التي فاز بها الشعراء الفلسطينيون غسان زقطان، طاهر رياض، زهير أبو شايب ويوسف عبد العزيز عام 2026، وأخيراً تخصيص مجلة «البيت» التي تصدر عن «بيت الشعر» عدداً من افتتاحياتها لفلسطين، قضيةً وأفقاً للتفكير والحرية والإبداع.

بهذه الخطوة النبيلة والصارخة في وجه تلميع المشاريع العنصرية والإبادية لآخر كولونياليات العصر الحديث الإحلاليَّة، يبدو أنّ المثقف في العالم العربي-الإسلامي بدأ يستعيد توهُّجه ودورَه العضوي، بعدما مسخته التجاذبات الطائفية والمذهبية والعِرقيَّة ورساميل و«أظرفة» البترودولار والتمويلات المشبوهة تحتَ مسمَّى المنظمات غير الحكومية.

(الأخبار)

ملف

العبودية في العالم الإسلامي: 14 قرناً من القهر

استعادة الإسلاميين الجدد للاستعباد، خصوصاً بحق الإيزيديات، تمنح هذا التاريخ راهنية مفزعة

أربعة عشر قرناً من العبودية يفتحها جاستن ماروتسي على تاريخ كثيراً ما جرى تهميشه. في «أسرى ورفقة»، يتتبع تجارة البشر في العالم الإسلامي، من أفريقيا إلى القصور والجيوش والأسواق، كاشفاً تداخل الاقتصاد والسلطة والفقه والعنصرية في ترسيخ مؤسسة قاومت التحولات، قبل أن تعود بعض مبرراتها في زمننا المعاصر

سعيد محمد

شكّل امتلاك البشر أحد الموارد الأساس التي بنت عليها إمبراطوريات العالم الإسلامي قوتها وثروتها، فاجتمعت في أجساد المستعبَدين قيمة السلعة وطاقة العامل ومادة المتعة ووظيفة الجندي، وتداخلت الهيمنة على أدوات الإنتاج مع السيطرة على بيولوجيا الحياة البشرية.

يستعيد جاستن ماروتسي هذا التاريخ المُتجاهل في «أسرى ورفقة: تاريخ العبودية وتجارة الرقيق في العالم الإسلامي - 2025» (CAPTIVES AND COMPANIONS: A History of Slavery and the Slave Trade in the Islamic World)، متتبّعاً مؤسسة ذات تاريخ معقد ومتشعّب، اتّسعت فضاءاتها إلى الحقول والمنازل والجيوش وقصور الحكم، وامتلكت بفضل مرونة التأويل الديني قدرة هائلة على التجدّد عبر أنظمة سياسية واقتصادية متعاقبة، وصولاً إلى ممارسات متوارثة يوثّقها في بعض أنحاء مالي وموريتانيا.

ملايين البشر على طرق الاسترقاق

يغطي الكتاب الطموح نحو أربعة عشر قرناً، من بدايات تأسيس الإسلام إلى القرن الحادي والعشرين، ضمن نطاق عريض يشمل المشرق العربي وشمال أفريقيا والمجال العثماني ويمتدّ إلى أفريقيا جنوب الصحراء. لقد جاءت أعداد المستعبَدين الأكبر في العالم الإسلامي من القارة الأفريقية، إلى جانب أسرى من أوروبا الشرقية والجنوبية والبلقان والقوقاز، تم نقلهم عبر مسالك تعبر الصحراء والبحر المتوسط والمحيط الهندي، ما وفر لماروتسي مادة سردية ضخمة، لكنها وضعته تحت عبء تفسير العلاقة بين أنظمة استعباد فصلت بينها قرون واختلفت وظائفها الاجتماعية وطرائق اندماجها في الاقتصاد والحكم. كما يستعرض تقديرات تتراوح بين اثني عشر وخمسة عشر مليوناً من البشر وقعوا ضحايا لهذه المؤسسة. ويورد دراسة ترفع العدد إلى سبعة عشر مليوناً، مع التأكيد دائماً أن التقديرات تتأثر بمحدودية مصادر البحث وندرة السجلات ونسق التصنيف.

يفوق هذا الامتداد الزمني لهذا النظام القرون التي استغرقتها تجارة العبيد الغربية عبر الأطلسي، فيما تستدعي المقارنة بينهما مراعاة اختلاف كثافة الاتجار ومناطقه وآليات توثيقه، وحجم الضحايا الذين سقطوا خلال الغارات والترحيل حتى قبل استرقاقهم. فقد كان وصول الأسير أو الأسيرة إلى السوق آخر مراحل عملية بدأت غالباً بالقسر العنفي، ومرّت ضمن أشكال أخرى من العنف بتجّار ووسطاء وحراس وجامعي ضرائب للسلطات. ويدلّ تضخم الأعداد على اتّساع الطلب الذي غذّى هذه التجارة، ويترك لنا مهمة تصوّر ما أحدثه الاقتلاع المستمر للسكان المحليين من عذابات فردية لملايين الأشخاص ومن تدمير للأسر والمجتمعات وتجفيف لموارد العيش.

تراكبت البنية الاقتصادية لهذه المؤسسة على نظام تقاطع مصالح استفادت من استمراره: ملاك الأراضي الباحثون عن أيدٍ عاملة للزراعة، والحكّام المحتاجون إلى جنود، والأثرياء الباحثون عن المتع الجنسية المتفلتة، كما التجّار والوسطاء المستفيدون من فروق الأسعار، والتي في مجموعها جعلت من امتلاك البشر نشاطاً مجزياً يستحق القوننة، والتغطية الفقهية، والتوريث عبر الأجيال.

ربما يقدّم القرن التاسع عشر أوضح أمثلة الكتاب على تكيّف العبودية في العالم الإسلامي مع الاقتصاد العالمي، إذ شجّع الطلب على القرنفل من زنجبار والقطن من مصر والتمور من عُمان على توسيع استخدام العمال المستعبَدين. واتّصلت مصالح كبار الملاك وشبكات التجارة المحلية بأسواق خارجية، فأصبح المستهلك، مهما ابتعد، طرفاً في سلسلة قهر تبدأ بغارات الاسترقاق التي كثيراً ما تلفعت باسم الجهاد، وتنتهي بالجسد المقهور. وفي منطقة الخليج، جمعت صناعة اللؤلؤ بين الاستعباد والتبعية الناجمة عن الدَّيون، حيث ورطت السلف المالية كثيراً من الغواصين بممولّي الرحلات، ودفعتهم إلى عمل بالغ القسوة، تتوزّع مخاطره وأرباحه وفق ميزان يميل دائماً إلى مصلحة أصحاب المال.

من العبودية إلى أبواب السلطة

داخل هذا العالم، اتّخذت العبودية أشكالاً اجتماعية متباينة، وفتحت بعض مساراتها إمكانات استثنائية للصعود. يستعيد ماروتسي سير بلال بن رباح وزيد بن حارثة وسلمان الفارسي، بوصفها تجارب متداولة في التراث الإسلامي عن شخصيات انتقلت من الاسترقاق إلى العتق والمكانة الدينية أو العسكرية داخل الجماعة الإسلامية الأولى. وتكشف هذه السير أهمية التمييز عند محاولة تفكيك هذه الظاهرة بين نماذج المستعبَد الذي تأبد استعباده، ومستعبدين تغيّر وضعهم (القانوني) لاحقاً بالنسبة إلى السلطان، ومستعبد ظلّ مملوكاً لكنه حاز (أو حازت) حظوة خاصة لدى سيده، مع تعدد قنوات الصعود الاجتماعي عبر المراحل من خلال (مكرمات) النخب، والمواهب الفردية، وطبيعة الوظيفة الموكلة للمستعبد، كما السياق السياسي الاقتصادي المحدد الذي أتاح أحياناً مساحة لتحول صيغ الاعتراف بإنسانية المستعبدين.

في البلاط العباسي البالغ والمنهتك، احتلّت فئة القيان منزلة خاصة، إذ اجتمعت في بعضهن براعة الغناء والشعر والمعرفة وآداب المجالسة، فكانت الموهبة والحسن مصدراً للنفوذ والثروة. وتنقل أخبار «عِنان» و«عُريب» حكايا حافلة بالمنافسة والذكاء والمناورة تكشف ارتباط الاستعباد بنموذج استهلاك النخبة وثقافتها. في المقابل، اشتغل الخصيان بحراسة الحريم والأماكن المقدسة وخدمة القصور، ووصل بعضهم إلى مواقع مؤثّرة في الإدارة والسياسة، بعدما سبق ذلك اقتلاعهم من أسرهم وإخضاعهم للإخصاء بما حمله من مخاطر جسدية وسايكولوجية، وما تركه من تشوهات دائمة على مشاعرهم ونسق حياتهم وطبيعة علاقاتهم بالآخرين. تظهر مفارقة صعود المستعبَد في العالم الإسلامي بأوضح صورها في المؤسسة العسكرية، خصوصاً مع توسّع اعتماد الخليفة المعتصم على الغلمان الأتراك، وتدريبهم ضمن تشكيلات مقاتلة ارتبطت شخصياً بالخليفة ودائرته. لقد أتاح ذلك بناء قوة تجاوزت الولاءات المحلية والعصبيات القبلية القديمة، ومنح القادة العسكريين قدرة أكبر على التحكّم في جنودهم، لكن خلال اضطرابات سامراء، أصبح عزل الخلفاء وقتلهم تعبيراً عن انتقال مركز القوة إلى العسكر، فتبدّلت العلاقة بين المالك والمملوك تحت تأثير احتكار العنف والسلاح والتوفر على التنظيم المحكم، ليمتلك المستعبدون القدرة على التدخّل في انتقال الحكم وإعادة توزيع موارده.

من بوابة جدل هذا الصعود، ولدت تجارب متمايزة، من بينها الدولة الطولونية التي أسّسها أحمد بن طولون، ابن مملوك تركي، وسلطنة المماليك التي حكمت مصر والشام وأسهمت في صدّ غزوات المغول ومواجهة القوى الصليبية. أما الانكشارية التي تطوّرت داخل الدولة العثمانية بوصفها مؤسسة عسكرية ضاربة، فقد ارتبط تجنيدها في مراحل مهمة من تاريخها بنظام الدوشيرمة الذي انتُزع صبياناً مسيحيين من مجتمعاتهم وأعاد تنشئتهم لخدمة السلطان. وتسجّل هذه التجارب قابلية الأصل المستعبَد للتحوّل إلى امتياز في سياق تاريخي محدد، لكن دائماً توازياً مع استمرار مؤسسات الاسترقاق التي أمدّت النخب الجديدة بأفرادها ووسائل تجديد سلطتها.

الفقه ومفارقة العتق والاستعباد

يخصّص ماروتسي مساحة وافرة للإطار الديني والفقهي الذي نظّم الرق، مشيراً إلى أنّ القرآن تعامل مع مؤسسة كانت قائمة تاريخياً قبله، وأقرّ أحكاماً تتعلّق بأوضاع المستعبَدين، وشجّع العتق ضمن أعمال البر والكفّارات. غير أنّ أسبقية العبودية على الإسلام تفسّر السياق الذي نشأت فيه هذه الأحكام، ولا تستنفد السؤال النقدي عن دورها في استمرار المؤسسة. فالتشجيع على تحرير المستعبَد ظلّ قائماً إلى جانب الاعتراف بمشروعية امتلاكه، ولم يتحوّل إلى تحريم عام لاستعباد البشر. لقد اكتسب العتق قيمة أخلاقية ودينية، بينما احتفظ الرق بموقعه داخل نظام العلاقات الاجتماعية.

ومنح التفصيل الفقهي هذا النظام بنية قابلة للاستمرار، حين نظّم أحكام الملكية والزواج والمكاتبة وسبل التحرير. فعلى الرغم من أن تلك الأحكام أتاحت مسالك للخروج من الرق، وفرضت قيوداً نظرية على تصرّفات المالك، لكنها جعلت امتلاك الإنسان أيضاً علاقة معترفاً بها، تُضبط حقوق أطرافها ضمن تفاوت أصلي وجذري في قدرتهم على تقرير مصائرهم.

يتضح تهافت منطق الحماية في التمييز بين المسلم الحر والشخص المستعبَد الذي اعتنق الإسلام. فقد حظر الفقه استرقاق الأول، بينما لم يجعل إسلام الثاني سبباً تلقائياً لانتهاء رقّه. ويكشف ذلك أنّ الانتماء الديني المشترك لم يكن كافياً لإزالة التفاوت القانوني بين المالك والمملوك، إذ أمكن الاعتراف بالمستعبَد عضواً في الجماعة الدينية مع استمرار خضوعه لملكية فرد آخر.

ومع الفتوحات، اتّسع مورد أسرى الحرب، واتّصلت مشروعية الاسترقاق بمصالح التوسّع السياسي وازدياد الطلب على الخدمة والعمل والمتع والجنود. وفي هذا السياق، يتيح الجمع بين القراءة الفقهية والتحليل المادي إدراكاً أعمق لأسباب استمرار المؤسسة: فقد وفّر امتلاك البشر منافع للحكّام والتجّار والملاك، ومنحته أحكام الشرع إطاراً للاعتراف والتنظيم. ولا يقتضي ذلك اختزال دور الفقه في تبرير مصالح الأقوياء، لكنه يستدعي مساءلة العلاقة بين الاجتهاد والبنية الاجتماعية التي احتضنته، والنظر في القوى التي امتلكت سلطة تفسير الأحكام وتطبيقها، وفي المساحة التي أُتيحت للمستعبَدين للمطالبة بالتحرّر داخل ذلك الإطار.

أما الغارات التي شنّتها جماعات مسلمة على مجتمعات أفريقية مسلمة واستعبدت سكانها، فتكشف عن مستوى آخر يتعلق بانتهاك الحماية التي قرّرها الفقه نفسه. وتستدعي هذه الوقائع مساءلة المصالح وموازين القوى التي سمحت بتوسع تلك الغارات واستمرارها حين عجز الانتماء لذات الدين عن حماية ملايين السود من الاسترقاق،

> **اجتمعت في أجساد المستعبَدين قيمة السلعة وطاقة العامل ومادة المتعة ووظيفة الجندي**

وسقطت فاعلية القواعد الفقهية أمام الجشع.

حين اكتسب الاسترقاق لوناً

يتّخذ هذا التفاوت بعداً عنصرياً في الكتابات التي ربطت سواد البشرة بالدونية، ومنحت إخضاع الأفارقة مبررات ثقافية وأخلاقية. يستعرض المؤلف أمثلة من الأدب والفكر العربيين والفارسيين، بينها نصوص للفردوسي وابن خلدون، ويلحظ حضور أسطورة «لعنة حام» ذات الجذور العبرانية في تقاليد إسلامية لتفسير الاستعباد بوصفه قدراً موروثاً. وتستحق الاستثناءات بين هذه المواقف التنويه، فقد رفض ابن خلدون التفسير القائم على اللعنة العبرانية رغم أحكامه التحقيرية عن الأفارقة، كما عارض أحمد بابا التنبكتي ربط اللون بالرق ودافع عن حماية المسلمين الأفارقة من الاستعباد.

يساعد استعراض ماروتسي على رصد العنصرية بوصفها إحدى وسائل تثبيت التراتب الاجتماعي في بعض المجتمعات المسلمة، حيث تتحوّل علاقة أنتجتها الغلبة والمصلحة إلى صفات تُنسب إلى جماعة بأكملها. وفي جنوب العراق، اتّصل هذا الاحتقار بعمل قاس فرض على المستعبَدين إزالة الطبقات الملحية لاستصلاح أراضي الأثرياء، فتهيّأت ظروف انفجار ثورة الزنج سنة 869 بقيادة علي بن محمد التي استفادت من اضطراب الدولة العباسية، وامتدّت حتى سنة 883، وأقامت سلطة ومركزاً محصناً وهدّدت المصالح التجارية والسياسية، قبل أن تسحقها القوات العباسية بعد حصار وحرب طويلة. يقرأ ماروتسي تلك الثورة عبر مصادر إسلامية أبرزها الطبري، ويكشف فيها عن عداء مرضي ملفت للنظر، كما يعرض المجازر والاسترقاق اللذين مارسهما المتمرّدون أنفسهم. تمنح هذه التفاصيل الانتفاضة الزنجية تعقيدها، بوصفها صراعاً على التحرّر والموارد والسلطة، تشكّلت تطلّعاته داخل مفاهيم عصره لكن حكايته كتبها المنتصر.

الإلغاء الذي لم يكن رفقاً... من حرّر المستعبدين؟

في الفصول التي تتعلق بإلغاء الرق، يجمع الكتاب بين دور الضغط البريطاني ومبادرات الإصلاح العثماني وتبدّل المواقف المحلية، ويفتح بذلك مسألة العلاقة بين التوجه لتحرير العبيد والتوسّع الإمبراطوري. يستفيد ماروتسي من برنارد لويس لكنه يخالف تصوّره الذي يجعل إلغاء الرق مبادرة غربية خالصة، مسجّلاً تعدّد الأصوات داخل المجتمعات المسلمة، ناهيك بمشاركة البريطانيين الكثيفة في الاتجار بالبشر. وتكتسب هذه القراءة قوتها حين تربط الدوافع المصلحية للقوى الأوروبية مع مبادرات الإصلاحيين ونضالات أصحاب القضية أنفسهم عبر الهروب والتقاضي والمقاومة اليومية. ينجح ماروتسي في إظهار التنوّع التاريخي للظاهرة، وتساعده خبرته الصحافية ومعرفته بالمنطقة على كتابة تاريخ يتنقل بسهولة بين الوثيقة والشهادة والوصف. وتستمد أفضل صفحاته قوتها من التفاصيل التي تعيد إلى الاستعباد معناه العملي، من انتزاع الأطفال من حضن أمهاتهم، إلى الإخصاء، ومن فحص الجسد عارياً في السوق إلى إخضاع المسترق لإرادة المالك. كذلك يمتلك حساً بمشكلة المصادر، ويقرّ بأن أصوات المستعبَدين وبخاصة الفئات الأشدّ اشتغالاً بإنتاج الثروة والمتعة تركت النصيب الأقل من الشهادات مقارنة بالجارية الموهوبة والجندي اللامع والخصي المتنفّذ، وكلها وصلت غالباً عبر كتّاب ينتمون إلى عالم السادة، أو عبر مراقبين أجانب حملوا مصالحهم وافتراضاتهم المسبقة معهم إلى البلدان التي وصفوها.

تحمل كلمة «الرفقة» في العنوان إشكالاً يرافق القراءة، لأنها تستدعي مفهوم الألفة داخل علاقة تأسّست على تفاوت جذري في الحقوق، إذ قد يشترك السيد والمستعبَد في البيت والذكريات والعاطفة وربما الممارسة الجنسية (القهرية)، فيما تبقى سلطة الإخضاع والبيع والعقاب والفصل عن الأبناء موزّعة في اتجاه واحد. وتستحق هذه الحميمية اهتماماً نقدياً خاصاً، بوصفها إحدى الوسائل التي تجعل التبعية قابلة للاستمرار وتمنحها مظهر العلاقة العائلية، خصوصاً حين يتعلّق الحصول على الأمان والطعام والمأوى برضا المالك، ويغدو الخروج من هيمنته مغامرة تهدّد شروط البقاء التي احتكرها لنفسه بحكم الدين والسلطة والقانون.

العبودية لم تصبح ماضياً تماماً

تمنح استعادة الإسلاميين الجدد للاستعباد في العراق وسوريا وليبيا، خصوصاً بحق الإيزيديات، وممارسات جماعات مثل بوكو حرام في بعض نواحي أفريقيا، هذا التاريخ راهنية مفزعة. فقد عادت ملكية البشر ممارسة مسلّحة تبحث عن شرعيتها في التراث الفقهي، لتطرح سؤالاً عن مدى اكتمال المواجهة النقدية مع الذات في العالم الإسلامي. إذ تكشف هذه العودة أنّ الإلغاء القانوني لم يغلق باب استدعاء مسوّغاته القديمة، وأنّ إدانة الجناة تستدعي أيضاً تفكيك الحجج التي استخدموها لإباحة جريمتهم. وتقتضي مواجهة هذا الإرث مساءلة صريحة للأحكام والتأويلات التي شرعنت امتلاك الإنسان، وتثبيت الحرية حقاً أصيلاً لا يسقط باختلاف الدين أو بوقوع الحرب. فواد الظاهرة يقتضي نزع كل مشروعية عن مبررات استعادتها، حتى لا تبقى حرية الإنسان رهينة تأويلات منحرفة تصادرها.

فصول روائية

إنّ معي خضراً *

مريم الأمين

1

سمعتُ اسم منطقتنا على الراديو للمرة الأولى، نظرتُ إلى حسن وصرختُ: «سمعت؟ قالوا الشياح». لم تفز منطقتي بجائزة أجمل حيّ أو شارع. فازت بالمتراس، وتحوّلت إلى المحور الأشهر على امتداد الوطن: «الشياح - عين الرمانة»، محور الاشتباك الأول، والقذيفة الأولى، سيتردّد اسمها كثيراً على الراديو بعد ذلك، لكنّني لن أفرح بسماعه.

تتضارب الأحاديث حول بداية الحرب. يقولون إنّها مستعرة منذ الولادة الأولى لهذا البلد، يوم اقتُطعت الأرض، وصار للبقعة الجغرافية اسمٌ وعَلَم.

يومها استعرت الحرب، تأخذ أنفاساً لتستريح وتنفث أخرى لتحيلها جهنّماً، لم تخمد قطّ حتى تستعر.

في الزقاق، لم نبال كثيراً في حينه بحادثة «بوسطة عين الرمانة» بوصفها حدثاً جللاً قد يجرّ خلفه ما جرّه فعلاً من ويلات. كانت أخبار الانفجارات والاغتيالات حدثاً يومياً متكرّراً، وكان من الطبيعيّ أن نتعامل معه من هذه الزاوية. ففي بادئ الأمر لم نستوعب، كنّا نحاول أن نتريّث ونفهم السرعة العجيبة التي تتتالى فيها الأحداث. لكن مهما حاولت أن تتريّث، أن تنصت وتحلّل، فالأحداث لا تتريّث، ولا تجاريها قدرتك على الاستيعاب.

في اليوم التالي لحادثة البوسطة، ظهرت السوائر، شبابٌ يرفعون المتاريس. أغلِق الزقاق من جهة عين الرمانة. الطريق الذي كنت أسلكه إلى عملي أصبح مسدوداً بجدارٍ من الأكياس الرملية.

أحاديث الرجال على المصطبة كانت تتناقل أنّ ما يحدث مجرّد «علقة» بين الفلسطينيين و«الكتائب»، وأنّها ستنتهي بعد مدة قصيرة. لم نكن من الكتائب ولا من الفلسطينيين، فالحرب هذه إذاً لا تعنينا بشيء، لكنّ حسابات الأيام القادمة لن تطابق حسابات بيدرنا.

بعد يومين من الحادثة، سمعت بينما أجلس في غرفتي ضجة وأصوات صراخ. خرجتُ إلى المصطبة، مرّ من أمام منزلنا أناس يركضون باتجاه الجامع، مشيت معهم، كانوا يصرخون ويكبّرون، جيء بشاب إلى باحة المسجد القريب، حملوه من بدبه ورجليه، مروا به من أمامي، كان جارنا في الزقاق المقابل، وكنت قد رأيته مرات عدّة، وجهه كان جميلاً؛ عيناه عسليّتان، شعره بنيّ ناعم كثيف. كانت عيناه وكان شعره... وجهه الآن مكسور ومدمّى، ثقبته رصاصة قنّاص ثقباً واضحاً في صدغه الأيسر.

جاء الخوف، خرج من ثقب الرصاصة إلى بدني، ارتجفت يداي، بُحّ صوتي، ركضتُ نحو الدار، وسط صراخ الناس وتكبيرهم، مررتُ من بين أفواههم الفاغرة وعيونهم الحمراء، شممتُ الغضب والرعب والصدمة، أزكمت الرائحة أنفي، وصلتُ إلى المنزل، وجلستُ على السرير، أحاول التقاط ما بقي من أنفاسي، الطريق القصير الذي أقطعه عشرات المرات في اليوم امتدّ وامتدّ وسرق أنفاسي.

مسحتُ دموعي، أخذتُ نفساً عميقاً، حاولتُ أن أسترجع ما حدث في الأيام الماضية، أيّ يوم هو اليوم؟ هل كنّا قبل يومين في الشويفات؟ هل عدنا على الطنبر نغنّي؟ هل كان ذلك قبل يومين أم منذ عقود؟ رائحة الغسيل لا تزال تفوح من الوسادة، شممتها جيّداً، أغرقتُ وجهي فيها، اليوم هو الثلاثاء، الخامس عشر من نيسان من العام خمسة وسبعين، وأنا نوال، عمري ستة عشر عاماً إلا أشهراً، بيتي في الشياح، مدرستي في الغبيري، آخر يوم ذهبت فيه إلى المدرسة كان يوم السبت، هل يُعقل؟ يومان فقط؟

حدث ما حدث في يومين، ارتفعت السوائر، قالوا في الراديو إنّنا محور، وإنّ الأسواق والمدارس قد أُقفِلت، تحوّلت الحياة والموت إلى مجرّد احتمال مشرّع على المجهول، يفصل بينك وبينه متر واحدٌ أو أقلّ، تخرج من المنزل ولا تدري أيّ الاحتمالات سيصيبك: رصاصة طائشة؟ قذيفة؟ قنص؟

ساءت الأمور أكثر مع توالي الأيام. بدأت القذائف تنهمر علينا، أصابت الكثير من المباني المجاورة. والقذيفة نقيض القنص الصامت، للقذيفة صوتٌ مدوٍّ، وضغطٌ تهتزّ له الأبنية. في الحي نستعمل عبارة «علقت وراقت» و«علقانة ورايقة».

«علقانة» تعني أنّ صالون بيتنا يعجّ بالجيران. أمي، أبي وإخوتي أيضاً، نسمع صوت القصف والقصف المضادّ، نتبارى في معرفة مصدر القذيفة ومسارها، «من عنا أو من عندن» يرتجّ المنزل، تتمتم إليهم، يقيمون الندوات، يوزّعون الأدوار، يقيمون الحلقات، يتبادلون الأحاديث، يتناقلون الأخبار، يتحدّثون عن الأحياء التي سقطت فيها القذائف، عن الأحياء التي لم تسقط فيها بعد، عن الأحياء التي لم تسقط فيها قذيفة واحدة، عن الأحياء التي لم تسقط فيها قذيفة منذ بداية الحرب، عن الأحياء التي لم تسقط فيها قذيفة منذ بداية الحرب ولم يسقط فيها قتلى.

2

عجّ الحي والزقاق بصبايا وشباب، بعضهم بالثياب العسكرية، وبعضهم بالثياب المدنية، وبدأ شبابٌ من الزقاق بالانضمام إليهم، يقيمون الندوات، يوزّعون المساعدات، يحاولون «الاستقطاب». يقولون إنّهم سيدافعون عنّا وسيحاربون معنا، تُخيفُني المظاهر المسلّحة بين البيوت في أول الأمر، ثم أعتادها، كما أعتاد انقطاع الخبز، والغاز، والكهرباء والماء. كنّا في «حرب السنتين» - الاسم الذي أُطلق على المرحلة الأولى من الحرب الأهلية اللبنانية، والتي كان لها الأثر الأكبر علينا في الزقاق - كنا حينها نستعمل الحطب للطبخ وأكياساً من نشارة الخشب والكاز لتحمية القازان والاستحمام. سيحاول بعض المسلحين مساعدة الناس بإحضار الخبز، أو الغاز، أو المؤونة، سيقبل بعضهم المساعدة وسيرفضها آخرون.

يحاول المسلّحون إقناعنا بأنّهم هنا للدفاع عنا وحمايتنا، أفكّر مستغربةً: ممّن؟ نحن لم نسعَ إلى الحرب، الحرب هي التي دخلت علينا من السقوف والشبابيك، الحرب التي لم نسعَ إليها لم نطالب بها، ولم نتسلّح من أجلها، هل كانت هذه الفوضى العبثية التواقة للدماء حرباً؟ كيف اشتعلت هذه الحرب؟ هل «مسيو نبيل» مدير عملي في عين الرمانة استيقظ من نومه فجأةً يريد قتلنا؟ هل زميلاتي في معمل الخياطة يرشقننا بالقنابل من خلف المتاريس؟

على الجبهة الأخرى أسماء سالفها مع الوقت أيضاً: النمور، حرّاس الأرز، والكتائب.

أجلس بجانب الرجال، أحاول أن أسمع، أن أفهم. لمَ اندلعت هذه الحرب من الأساس؟ أستمع إلى الراديو و«مونت كارلو»، الأخبار نفسها كلّ يوم: اشتدّ القصف، ننتظر الهدنة، خبر عاجل، هدنة، وقف إطلاق النار، فشل الهدنة، عادت الاشتباكات، محور، خط أخضر.

انتشرت المكاتب الحزبية في كل المنطقة، وكان لنا في الزقاق منها نصيب، بدأتْ أراقب توافد شاحنات إلى البناية التي بجانب منزلنا، مليئة بالخضار والفواكه واللحوم من الصنف الفاخر، تُفرَغ الشاحنة في الطابق الأرضي حيث يخرج مجموعة من الشباب يحملون الأغراض إلى الداخل.

علم أبي كما كل رجال الزقاق بأمر الشقة في الطابق الأرضي. يومها ظهر عليه التوتر، خرج وجلس على المصطبة أمام الدار يراقب المارة، يتأمل وجوههم كأنّه ينتظر أحداً، وحينما مرّ الحاج نعيم وقف ودعاه لشرب القهوة. جلس الحاج ودخلت أمي لتحضّر القهوة، جلستْ بجانب أبي مصغية.

– فلسطينية يا حاج نعيم؟ عم تأجّر البيت لفلسطينية؟ ومسلّحين؟ وقاعدين بيننا؟

أجابه الحاج نعيم بابتسامته المعتادة: – أنا أجّرت لبناني، أكتر من هيك ما خصّني، ويلي عم يتردّدوا على الشقة كمان لبنانيّة، إنت عارف يلي كان مستأجر الشقة وفاتحها معمل خياطة فلّس وبدو يسكّر، شو بترك البيت فاضي؟ بعدين ما شفنا منن شي للجماعة، محترمين حالن، وقد ما فيهم عم يساعدوا، شايف الأكل يلي عم يوزعوه على الحي؟ لحم غنم، فخاذ عم يوزعوا، يا أبو حسين ما هي علقانة علقانة وكلها يومين وبتخلص وإنت بس يزعجك منن أي شي بس خبّرني.

نفخ أبي دخان سيجارته وابتسم على مضض.

عندما تقحم الحرب نيرانها في زقاقك تدافع عن نفسك بما تقدر عليه من سلاح، ونحن كان الأمل سلاحنا، اقنعنا أنفسنا بأنّ الحرب ستنتهي في أيام قليلة، وحاولنا رغم ارتفاع السوائر وروائح الدخان والبارود أن نحيا.

بوسطة عين الرمانة (وكالة فرانس برس، 1975)

قصائد

ألزهايمر يا أبي

صورة تقدمها جامعة نيكاستر (إنكلترا) لمرضاها من أجل تشخيص مرض الزهايمر

عبد الرحيم الخصار *

عاش والدي خمس سنوات في ضباب الزهايمر، ثم غادر عالمنا في الخريف الأخير. هذه النصوص منهُ وعنهُ وإليه.

1

أنظرُ إليكَ
وتنظرُ إليّ
وبيننا تمر قطعانٌ من رابية إلى رابية
يتمدد ظل الحَرَب ويغطي عينيك
يسقط دلوٌ من يدك
ويندلق الماء على تلّ النحاس
جماجمُ قديمةٌ تخرج من أحداثها
وتتسلق أشجار الضبعة
يغدو القسطل فلزًا بين يديك
وفكرتكَ عن الزمن
تغرق في بحيرة.

2

تتحسس حقلا على كتفك
وتدير سكّة المحراث
باتجاه أعوام خلت
تغيّرَ العالَم وأنت ما زلت هناك
ربما ذهبتَ إلى الغد دون أن نراك
لكنك عدتَ من طريق أخرى.

3

في عيونهم كان ظلّكَ يمتدّ
عطشى هدَفهم تعبُ الطريق إليك
ولم تكن قطبًا أو دليلَ أحد
فقط أفرغتَ البنادق من البارود
ورجوتَ المحاربين أن يتحلّقوا حول نارك
ويرقصوا قليلا
ريثما تجرّ الحُلكةُ ملاءتها بعيدا عن المدشر.
كنتَ ترفع كفّيكَ إلى السماء
ولا يسقط فيهما غير تراب السقف.

4

رجوتَ الغيومَ كثيرا لكنها ضنَّت.
في حقل شوك ضاعت نظرتك
وفي أضيص بالسطح
ذبلت أحلامك القصيرة.
طرقت الحديدَ والشّقاء معا
ولانا بين يديك.
وفي غمرة يأسك
ارتعش ضوءٌ في فتيل زيت
ومن ماءٍ منسيّ صعدتْ حبالٌ ودِلاء.

5

في ضيعتك كان الحزنُ دالية
نفّقتْ حملانٌ وغيوم
وقفتْ على أعتابك وعولٌ وذئاب
وسقطتْ طيورٌ كثيرة من سقف البيت.
كدّست حقلا في بيدر
وعرّيت سنابلهُ بنَوْرَج صدئ
لملمتَ ريشك في ليلةٍ بلا قمر
دسستَ أربعينَ عاما من الفرح في دولاب
حزمتَ دولابك بحبل
وفي عربةٍ بحصان مُتعَب
تدحرجتَ هاربا من ألم الهَضاب.

في طريقك لمعت سنابكُ وفؤوس
ثم لمع فحمٌ كثيرٌ بين يديك.

نقشتَ كلاما مُبهما على خاتمٍ من نحاس:
«سيان أن يكون الزمن شجرة في بستان
أو شاهدةً على طرف قبر».
وحين أفردتُ حيرتَك جناحيها في ليل المشاع
وضعتَ صغارها تحت مطرقة
وتواريتَ في الضباب.

6

ربما يجدر بنا أن ننسى معا
الطرقاتِ التي عبرناها.
لكن يخيفني أن يكون للحصى ذاكرة.
تخيفني هدأة الظهيرة في البوادي
والظلامُ الذي يتجاسر على مشكاة.
أنت أغمضتَ عينيك
ووثبت بمفردك إلى المنحدر
لأنك ولدتَ على مقربة من الصُّبّار
ونشأتَ منسيا مثل أعشاب المقبرة.
إنني أرفع لأجلك أغنية في مغارة:
أيهما أقسى، أن تتذكّرَ أم أن تنسى؟

* من ديوان صدر حديثاً بالعنوان نفسه عن «دار المتوسط» في ميلانو.

* الفصول الثلاثة الأولى من رواية «إنّ معي خضراً» (عن الحبّ والبنادق، وأبو حسن سلامة)، للكاتبة مريم الأمين، الصادرة أخيراً عن «دار المودة للترجمة والتحقيق والنشر» في بيروت.

مذكرات

في «أحداث عسير»، تستعيد مذكرات الضابط العثماني سليمان شفيق كمالي سنوات مضطربة سبقت الحرب العالمية الاولى، حين كشفت عسير هشاشة الإدارة العثمانية وصعود قوى محلية جديدة. بتحقيق فندي ابو فخر، تتحول الشهادة العسكرية إلى قراءة في الجغرافيا والقبائل والسلطة، وفي الاخطاء التي مهّدت لانحسار العثمانيين عن الشرق العربي

أحداث عسير... المسمار الأخير في نعش الدولة العثمانية

بديع صنيح

تمثل المذكرات التاريخية نافذة استثنائية يستجلي منها الباحث ليس فقط الوقائع الجأفة المتروكة على هامش الوثائق الرسمية، بل أيضاً البنية الفكرية والتصورات النفسية والأيديولوجية للفاعلين الذين صاغوا مجريات تلك الأحداث.

وفي هذا السياق، يأتي كتاب «أحداث عسير... مذكرات سليمان شفيق كمالي» («دار دلمون الجديدة» في دمشق) وهو النص الذي أعده وترجمه المفكر النهضوي محب الدين الخطيب ونُشر في الأصل عبر صحافة العشرينيات («الأهرام» و«المقتبس»)، وحقق الباحث فندي ابو فخر ليكون وثيقة سياسية وعسكرية واجتماعية في غاية الأهمية، إذ إنه ليس مجرد سجل يوميات لضابط عثماني تولى متصرفية عسير وقيادة قواتها بين عامي 1908 ومنتصف عام 1912، بل هو شهادة نقدية حية تتلاقى فيها الرؤية البيروقراطية العثمانية المتأكلة مع ملامح الصحوة القومية العربية والمشهد المحلي المعقد لجغرافيا جنوب شبه الجزيرة العربية قبيل الحرب العالمية الأولى.

الجغرافيا كمحدّد سياسي وعسكري

تبدأ المذكرات بفصل يمزج بين الوصف الجغرافي الخالص والقراءة الجيوسياسية المتقدمة لبلاد عسير واليمن. لا ينظر القائد العثماني سليمان شفيق كمالي إلى الجبل والسهل بوصفهما مجرد تضاريس طبيعية، بل يتلمس فيهما حصوناً استراتيجية تحكم مصائر الولاء والسلطة. فهو يحلل سلالة جبال السروات والفرق بين تهامة الساحلية المترامية والنجود الجبلية المرتفعة، مشيراً إلى التضاريس الزراعية الاستثنائية للبلاد، والتنوع المعدني المتنوع بين الحديد والفضة والنحاس والملح الصخري والشواهد النفطية في جزر فرسان.

ولعل القيمة النقدية الأبرز في هذه التوطئة تنبع من الإدراك المبكر للمؤلف بأن التحكم في عسير هو المفتاح الحقيقي للحجاز ولحماية الحرمين الشريفين، وهو ما تفسره محاولات الشريف حسين بن علي المتكررة للتمدد إليها، وما نجح فيه لاحقاً الملك عبد العزيز آل سعود بفضل القوة والتدبير. وكما يدون كمالي في نص مذكراته بوضوح تحليلي لافت: «إن ما امتازت به بلاد عسير... وما لها من وضع جغرافي خاص، أضف إلى ذلك بسالة رجالها... كل ذلك قد جعل عسير مفتاحاً وثيقاً للحرمين الشريفين، فمن لم تكن عسير في يده وتحت سلطانه لا يصلح لحماية الحرمين الشريفين ولا أن يكون خادماً لهما».

يُظهر كمالي في مذكراته وعياً استثنائياً بطبيعة المجتمع العسيري، إذ يرصد البنية الاجتماعية القائمة على ثورة السيد محمد بن علي الإدريسي، يكتشف أن التقارير المركزية كانت مجرد أراجيف تافهة تدعي أن الإدريسي «يطلي وجهه بالفوسفور ويستعمل الاهتزازات الكهربائية مخادعاً الشعب ومدعياً الولاية والمهدوية»، وكان ظهور الإدريسي في صبيا وتمدد نفوذه في المخلاف السليماني في عسير أحد المحاور الأساسية في المذكرات، إذ يحلل كمالي ذكاء الإدريسي في استغلال فراغ السلطة وتطبيق أحكام الشريعة بنفسه، مما أكسبه ثقة القبائل ومبايعتها.

كما تتجلى في المذكرات براعة كمالي السياسية، حيث حاول اعتماد سياسة «الدبلوماسية الهادئة» والتودد للأهالي والعلماء من أمثال الشيخ محمد بن عبد الله بن خضرة لإحداث توازن ينزع عن الإدريسي مظلوميته. ومع ذلك، صادف هذا التوجه جموداً وبيروقراطية قاتلة من الباب العالي وجمعية الاتحاد والترقي في الأستانة، حيث جرى تجاهل تحذيراته العسكرية والسياسية، مما أدى إلى اندلاع الثورة الشاملة وحصار مدينة أبها لستة أشهر ونيّف.

ونتيجة لذلك، وجه كمالي في مذكراته نقداً حاداً لأسلوب الإدارة المركزية وتدخل «الأيدي غير المسؤولة» من أعضاء «حزب الاتحاد والترقي»، الذين أرسلوا مبعوثين غير رسميين لتجاوز السلطة الشرعية للقائد الميداني وتفاوضوا مع الإدريسي بدلاً من دعم الخطة العسكرية والسياسية المتكاملة. هذا الاضطراب البنيوي جعل الدولة تبدو في نظر القبائل ضعيفة ولا تتحدث إلا بلغة الدسائس أو استعراض القوة العقيم.

شخصية الباشا

في تقديم محقق الكتاب فندي أبو فخر الرصين، يكشف المازق الفكري لسليمان كمالي باشا بالقول: «إنه ضابط مخلص للدولة العثمانية والسيادة الاتحادية، يدعو إلى إقامة دولة الدستور والشورى، لكنه يتجاهل البنية الاجتماعية العميقة للسكان. فهو ينظر إلى الشرائح المستضعفة بنوع من التهميش الجاهلي، بينما يستميل الشيوخ بأسلوب براغماتي مؤقت، محاولاً فصلهم عن ثورة الإدريسي دون تقديم مشروع نهضوي حقيقي للمنطقة».

ولا يكتفي الباحث أبو فخر بالحديث عن الضابط العثماني كشخصية محورية، بل إن مذكرات الأخير أتاحت دراسة نقدية مقارنة للأنماط القيادية المتصارعة في شبه الجزيرة العربية في أواخر العصر العثماني، ومنهم السيد محمد الإدريسي الذي يظهر في مذكرات كمالي بدهاء سياسي حاد، رجل استخدم المرجعية الدينية والصلات الخارجية مع الإيطاليين والمصريين لبناء قاعدة نفوذ صلب في صبيا والتهائم. إنه لا يواجه العثمانيين مباشرة فحسب، بل يمارس الاستقطاب القبلي، والالتفاف حول الاتفاقيات، والمطالبة بتطبيق أحكام الشريعة لتجريد السلطة العثمانية من شرعيتها الدينية.

وهناك الشريف حسين بن علي وترسم المذكرات صورة متوترة وقاسية له، إذ يرى فيه الضباط العثمانيون طموحاً فردياً جامحاً يستغل القوات العثمانية والمال العام لتأسيس نفوذ شخصي في عسير ونجد تمهيداً للاستقلال بالحجاز، ويتضح التوتر الهائل بين كمالي وشريف مكة في المذكرات خلال حادثة فك حصار أبها، حيث رفض كمالي بشكل قاطع وصارم أن يطلب الشريف له إنعاماً أو وساماً من الأستانة، قائلاً له: «إذا أصر سيدنا على طلب المكافأة لي على غير رضى مني، وأجابت الدولة طلبه فكافأتني بشيء فإني سأرد تلك المكافأة رداً قطعياً مهما كانت».

وثمة أيضاً الإمام يحيى حميد الدين والسلطان عبد العزيز بن سعود، حيث يلوح الإمام يحيى في الخلفية كقوة حربية متمردة في الجبال الزيدية، بينما يحظى ابن سعود بإعجاب صريح من القائد العثماني، إذ يمتدح صدقه وتدبيره وحكمته السياسية التي تتفوق على مجرد القوة العسكرية الغاشمة.

ادبيات الحرب والإنسانية

تصل المذكرات إلى ذروتها الدرامية أثناء سرد أحداث حصار أبها الذي دام لأكثر من سبعة أشهر وبضعة أيام. يواجه الجيش العثماني الجوع، وانقطاع الإمدادات، وظروف التموين القاسية، مما يضطر كمالي إلى تقليص الجرايات، واستبدال الشعير بالقمح للجند، وزراعة المناطق المحاصرة، بل وتجفيف جذور الأعشاب لإطعام الدواب. ومع ذلك، تتجلى في السرد لغة إنسانية رفيعة تحسب للمؤلف، إذ كان يحرص على تفادي إراقة الدماء غير الضرورية، ورفض الفتك بالثوار المحاصرين، مستشهداً بموقفه عند القبض على شابين من ثوار «رجال المع»، حيث أطعمهما خبزاً ساخناً وأكرمهما بالمال وسلّمهما بسلاحهما إلى قومهما ليرسخ قيم المروة وتخفيف الضغينة.

كما يعكس موقف القاضي العفيف محمد بن عبد الله بن خضرة البعد الاجتماعي والفكري للنزاع، فقد رفض القاضي منصب قضاء عسير وراتبه المغري (خمسون جنيهاً ذهبياً)، فضولاً عن العزلة والتورع، لأن الرأي العام السائد كان ينظر إلى الإدارة العثمانية بوصفها سلطة جائرة ومحتلة لا تلائم خدمة الوطن. وقد خلد النص رسالته المؤثرة للباشا التي يقول فيها: «فوالله وبالله ما لي قدرة ولا صبر، ولا معي علم يسترني من الله... وإني لأئذ عائذ بوجه الله ثم بوجه سلطان الإسلام ثم بوجهك، لا تجبرني على ما لا قدرة لي به... الأمان الأمان الأمان».

شهادة التاريخ

تنبع أهمية هذا الكتاب من كونه يُعرّي آليات التفكير العسكري العثماني في أواخر عهد الدولة، ويُحسب للمترجم محب الدين الخطيب صياغته النص بلغة عربية رصينة، مشبعة بالجزالة والوضوح الجلي، مما جعل المذكرات تتجاوز كونها مجرد تقارير عسكرية جافة إلى أن تكون نصاً أدبياً وتاريخياً ممتعاً.

كما نجح المحقق فندي أبو فخر في ضبط النص، وإعادة تبويبه، والتعريف بالأعلام والأماكن، ليقدم للمكتبة العربية وثيقة تاريخية تُسهم في إعادة قراءة التشكيل السياسي لشبه الجزيرة العربية قبل الحرب العالمية الأولى، ليصبح كتاب «أحداث عسير» ليس مجرد تدوين لمعارك بين العثمانيين والإدريسي، بل هو وثيقة تفكّك بنية مجتمع كبير وليس لها تعريف واحد مقنع. فبالنسبة إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، وإلى الأحزاب التي تعتنق القومية العربية، كانت العروبة مصاحبة للإسلام من جهة، كما كانت هي جوهر الفكرة القومية العربية من جهة أخرى، إضافة إلى نوع من المصالحة أو المزاوجة المفتعلة بين الفكرة اللبنانية والعروبة، حيث نرى فريقاً من السياسيين اللبنانيين يحاولون التوفيق بين لبنانية لبنان من جهة وانتمائه العربي

إهمال إصلاح البلاد العربية كان المسمار الأخير في نعش العثمانيين في الشرق

تاريخ

من أوسلو إلى 7 أكتوبر... ثلاثة عقود من «السلام» المتعثّر

في «الغد هو الأمس»، يعود حسين آغا وروبرت مالّي إلى ثلاثة عقود من مفاوضات السلام الفلسطينية ـ الإسرائيلية، من أوسلو إلى 7 أكتوبر 2023. ومن موقعهما داخل دوائر التفاوض وصنع القرار، يفككان الأوهام والحسابات الخاطئة والإخفاقات الفلسطينية والإسرائيلية والأميركية التي انتهت بعملية السلام إلى طريق مسدود

محمود شريح

في كتابهما «الغدُ هو الأمسُ: الحياةُ والموتُ والسعيُ إلى السلام في إسرائيل/فلسطين» الصادر بالإنكليزيّة في نيويورك (دار فارار، ستراوس وجيرو)، يوفّر حسين آغا وروبرت مالّي مقاربة شاملة لآمال عملية السلام التي انقلبت إلى مأساة حاضرة، مستفيدَيْن من تجربتهما المُستقاة من كونهما كانا مستشارَيْن للقيادة الفلسطينيّة وللإدارة الأميركيّة ومشاركَيْن في مفاوضات السلام على مدى عقود في الإضاءة على تعثّر عمليّة السلام في الشرق الأدنى وما رافقها من انتكاس وتلكؤ، إسرائيليّاً وفلسطينيّاً وأميركيّاً على حدّ سواء، نتيجة الأوهام والأضاليل التي اكتنفتْ المفاوضات من ألفها إلى يائها.

يلحّ الكاتبان على أنّه لا مناص من حلّ الدولتيْن إذا ما كُتب لعمليّة السلام أن تمضي قدُماً في مسعاها، ذلك أنّ تعثّرها سببه حتى الآن جنوح الأميركيين إلى تفاصيل تقنيّة وصياغات لغويّة بدل الخوض في وقائع حياتيّة حقيقيّة، والصدام المدمّر في غزّة بعد 7 أكتوبر، إضافة إلى اتّساع الخلاف بين الفلسطينيين والإسرائيليين نتيجة ثمانية عقود من الصراع. لذا يعمد آغا ومالي إلى الإماطة، بأسلوب واضح وتفصيل دقيق، عن مال عمليّة السلام إلى الإخفاق في تحقيق أهدافها، لا بل إنّها انقلبتْ رأساً على عقب إذ حلّت سرديّات مزيّفة مكان وقائع فعليّة، وعليه، وفي إطار أحداث الحاضر المحفوفة بالمخاطر ليس هناك من خلاص كامن في المستقبل سوى أخذ عبرة من الأمس.

7 أكتوبر يعيد القضية الفلسطينية إلى الواجهة

يرى آغا ومالي أنّ حرب 7 أكتوبر 2023 غيّرتْ تضاريس الشرق الأدنى السياسيّة، فانتشر الصراع على أوسع مدىً من غزّة إلى طهران، فشمل لبنان وسوريا والعراق واليمن، وترك آثاره السياسيّة والاقتصاديّة والنفسيّة على إسرائيل ما أربك السياسة الأميركيّة وأشعلَ موجات احتجاجات عالميّة، وعدّل مواقف غربيّة، والأهمّ إعادة المسألة الفلسطينيّة إلى مكانتها مركز السياسة الدوليّة.

يشير الكاتبان إلى أنهما يرويان قصّة مدارها البحثُ عن السلام، منشأها احتفاليّة اتفاقيّة أوسلو في البيت الأبيض (13 أيلول 1993) ومنتهاها 7 أكتوبر 2023، إلّا أنهما يردّان القارئ إلى تفاصيل مهمّة في تاريخ فلسطين بدءاً من لجنة Peel البريطانيّة لعام 1937 إلى قرار الأمم المتّحدة عام 1947 ثمّ نكبة 1948 وفداحتها، وصولاً إلى القرار 242 وصعود حركة فتح بزعامة ياسر عرفات، إلى التزام الفلسطينيين بحلّ الدولتين وتلكؤ مفاوضات عرفات - باراك في كامب ديفيد برعاية الرئيس الأميركي كلينتون عام 2000.

يهتمّ الباحثان آغا ومالّي بسرد استراتيجيّة عرفات السياسيّة على مدى خمسة عقود، ويلحّان على أنّه لا مناص من حلّ الدولتيْن، مع إقرارهما بأنّ عرفات كان على الدوام مُمسكاً بوحدة القوى الفلسطينيّة في نضالها، ويريان أنّ ظهور حماس على الساحة قلبَ موازين القوى رأساً على عقب.

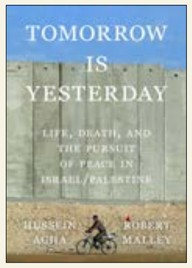

توثيق صادق ومرجعي لمسار عمليّة السلام منذ أوسلو حتّى الساعة

«حماس» وتبدّل موازين القوى

يرى آغا ومالّي أنّ إسرائيل عجزتْ عن قراءة تنامي الفكر السياسي لحركة «حماس»، فلم يكن في إمكانهما ردع «حماس» سلفاً عن مخطّط 7 أكتوبر، ذلك أنّ ما يلفتُ الأنظارَ أنّ يحيى السنوار، العقل المدبّر له، أعلنَ على الملأ أنّه ساعٍ إلى إنهاء الحصار المضروب على غزّة، وأنّ «حماس» تعمل جاهدة في سبيل الإطاحة بالأمن والاستقرار ليس في غزّة فحسب، بل في المنطقة بأسرها، طالما لم يكن هناك حريّة وعدالة لأهل غزّة. ويقرّ الباحثان أنّ تاريخ إسرائيل شاهد، ومنذ 1948، على أنّها ماضيةٌ في غيّها، من تدمير إلى اقتلاع إلى سطو على الأملاك، ما أدّى في نهاية المطاف إلى ردّ فعل 7 أكتوبر على جرائم الدولة العبريّة على مدى ثمانية عقود، لا بل إن شرارة غزّة هذه أشعلتْ جبهات مساندة لحركة «حماس»، بدءاً من إسناد «حزب الله» لغزّة، فمشاركة الحوثيين والفصائل العراقية إلى قيام الجمهوريّة الإسلاميّة بالردّ العسكري الأوسع والمكثّف على كيان الدولة العبريّة.

من جهة ثانية، وهذا في رأيي يتخطّى التوفيق إلى التلفيق.

وفي كل هذه «الشطحات» الفكريّة، لم يكن ثمّة وضوح في الرؤية، إلى أن طرح سعاده مشروعه القوميّ، فإذا بالعروبة في صلبه ولكن ليس كما فهمها العروبيّون وأتباع الفكر القوميّ العربي، ولا أصحاب بدعة الفكرة اللبنانيّة. فقد رأى سعاده العالم العربيّ موزّعاً إلى أربع أمم: أمّة الهلال الخصيب أو سورية الطبيعيّة، أمّة وادي النيل، أمّة العربة وأمّة المغرب العربيّ. ورأى ضرورة اجتماعها في جامعة تحقّق الجبهة العريضة المؤلّفة من هذه الأمم جميعها تماماً كما ورد في غاية الحزب المنصوص عليها في المادّة الأولى من دستوره. يطرح سامي سماحة جميع هذه المواضيع الإشكاليّة بأسلوب حواريّ، فتراه يحاور مجتمعاً كاملاً أو وطناً أو أمّة في «حوار معها»، بل هو يحاورنا جميعاً منتمين ملتزمين بتنظيم من التنظيمات المتعدّدة كما غير المنتظمين والّذين ما زالوا، رغم مرور زمن مديد على انتمائهم، أو بسببه، ينشطون في طرح الأسئلة وفي البحث عن إجابات تمنحهم شيئاً من طمأنينة أو أمان فكريّ بأنّ النهضة ومشروعها ما زالا بخير.

«العقل هو الشرع الأعلى»... فماذا حدث للحزب؟

لذلك، وبحثاً عن إجابات، وبطريقة إغناء الورشة الحواريّة التي أطلقها سامي سماحة، فإنّني بدوري أرغب في طرح بعض الأسئلة/ التساؤلات على الرفيق سوريّ قوميّ اجتماعيّ أقسم اليمين ذات يوم وما زال أميناً على قسمه وأميناً على مشروع سعاده:

1- لنبتعد قليلاً عن التنظير ونحاول الولوج إلى الناحية العمليّة أو العمليّاتيّة: في ظلّ ما حدث وما زال يحدث في الحزب القوميّ من أزمات وانشقاقات منذ التاسع من تموز 49، أي بعد يوم واحد من استشهاد الزعيم، كيف يمكن لحزب امتلك، إضافة إلى عقيدة صلبة وإيمان راسخ لا يتزعزع، قاعدة معياريّة ذهبيّة تقول «العقل هو الشرع الأعلى»، أن تكون هذه حالة من اهتراء وانشقاقات وانقسامات. وعلى هدي هذه القاعدة دعنا نسأل، من دون أن نثقّل المواجع ونرى أنّنا أهملنا أو كدنا نهمل هذه القاعدة، لو كان سعاده حيّاً وراى ما حلّ بحزبه، فماذا كان سيفعل؟ طبعاً، هذا يعني إعادة درس مسيرة التأسيس، وكيف كان سعاده يواجه أزمات الحزب الّتي واكبت التأسيس.

2- إعادة درس الدستور بمقاربة جديد يتخطّى القوميّة، ما زالت محاطة بكثير من الضبابيّة واللغط.

إذ ليس هناك، عدا ما أتى به أنطون سعاده، فهمٌ واضح لمعنى القوميّة. وهناك أحياناً تشويه لهذا المعنى أو نوع من الخلط أحياناً كثيرة مثلما يحدث بين القوميّة والإثنيّة على سبيل المثال.

الدين والعروبة... إشكاليتان مفتوحتان

أمّا الدين، فإشكاليّة من نوع آخر. ثمّة لغط خطير واختلافات مهمّة بالنسبة إلى مكانة الدين في حياة المجتمع والوطن، ممّا يخلق حساسيّة حادّة في كثير من الأحيان. بينما تقول العقيدة القوميّة الاجتماعيّة والفلسفات العلمانيّة على وجه العموم بفصل حادّ بين الدين والدولة تشريفاً للأول وصوناً للثانية، ثمّة وجود طاغ للدين في مختلف نواحي الحياة. وثمّة طغيان في بعض البيئات ولدى كثير من القوى السياسيّة للدين والتديّن والخلط بينهما وبين الطائفيّة والمذهبيّة.

ونأتي إلى العروبة الّتي كانت ربّما من أكثر الإشكاليّات تعقيداً والتباساً. فقد بقيت على الأرجح فكرة ينتابها غموض كبير وليس لها تعريف واحد مقنع. فبالنسبة إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، وإلى الأحزاب الّتي تعتنق القوميّة العربيّة، كانت العروبة مصاحبة للإسلام من جهة، كما كانت هي جوهر الفكرة القوميّة العربيّة من جهة أخرى، إضافة إلى نوع من المصالحة أو المزاوجة المفتعلة بين الفكرة اللبنانيّة والعروبة، حيث نرى فريقاً من السياسيّين اللبنانيّين يحاولون التوفيق بين لبنانيّة لبنان من جهة وانتمائه العربيّ

فكر سياسي

سامي سماحة يحاور القوميّة والدين والعروبة

من «الوجدان القومي» إلى الدين والعروبة، يفتح سامي سماحة في كتابه «حوار معها» (الفارابي) أسئلة الفكر القومي الاجتماعي وإشكالياته. كيف يمكن لفكر يرفع شعار «العقل هو الشرع الأعلى» أن يواجه أزمات حزبه وانقساماته؟

حليم رزوق

ربّما كانت إحدى الطرق لقراءة كتاب ما هي محاكاة المؤلّف في مقاربته لموضوعه. ومن هنا فلنجرّب، انطلاقاً من عنوان كتاب الرفيق سامي سماحة كتابه «حوار معها» (الفارابي)، أن نسلك طريق الحوار.

ولكن بماذا عسانا نتحاور وعن ماذا؟

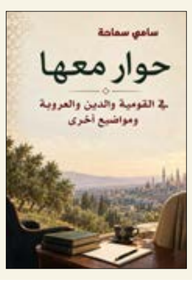

من «الأنا» إلى «النحن»: الوجدان القومي

مدخل المقاربة الحواريّة عند الرفيق العزيز هو «الوجدان القوميّ». وللمطّلعين على فكر سعاده وللدارسين له، فإنّ الوجدان القوميّ يحتلّ مركزاً مميّزاً في عمارة هذا الفكر. إذ هو إذا شئت المفتاح السحريّ الذي نلج بواسطته عالم القوميّة الاجتماعيّة من بابها العريض.

فمجمل الفكرة القوميّة يتمحور حول فكرة أن يضيف المرء إلى شعوره بذاته الشعور بقومه، بمجتمعه، بأمّته. هذا الشعور الأوسع من الـ«أنا» المحدودة في الزمان والمكان والذي يتّسع للمجموع ليصير الـ«نحن» الممتدّة على مدى الزمان والحاضنة لكلّ «أنا» في تناغم واتّساق نسقيه المتّحد. هذا الشعور السامي الرفيع هو لبّ الفكرة القوميّة الاجتماعيّة.

وإذ يعنون الكاتب كتابه بعنوان فرعيّ أو استطراديّ ليشمل القوميّة والدين والعروبة مع مواضيع أخرى ذات صلة، فإنّما هو يؤشر بذلك إلى مواضيع حادّة فلطالما كانت إشكاليّة؛ فالفكرة القوميّة الّتي تخطّتها المجتمعات في الغرب والّتي أسّست دولها وأصبحت في مسار نهضويّة. وكان الرفيق سامي قد ولج هذه المحاولة في كتابه السابق عن «الدستور بميزان النهضة». لذلك يجب التركيز على هذا الأمر بغية رؤية إلى ما رمى سعاده من وضع موادّ بعينها في الدستور.

3- وعلى ضوء النقطتين الأولى والثانية، اليس من المفيد البحث من جديد وبطريقة مختلفة، استعير لها من اللغة الإنكليزيّة تعبير out of the box ويقابلها في اللغة العربيّة «لنكن خلّاقين» أو «فلنبدع شيئاً جديداً». مع العلم أنّه لنكون خلّاقين أو مبدعين، ليس بالضرورة أن نتنكّر لجذورنا أو جذور فكرنا الّذي أرساه المعلّم، بل الأرجح هو أن نبدع انطلاقاً من القواعد الّتي أرساها بالتحديد، ودليلنا الّذي لا يخطئ «العقل هو الشرع الأعلى».

الوجدان القومي يبدأ من البيت

وعوداً على بدء. نعود إلى الفصل الأوّل من الكتاب وموضوع الوجدان القومي، لأقول في هذا السياق إنّ كان معنى هذا الوجدان هو إضافة شعور الإنسان بقضايا أمّته إلى شعوره بقضاياه الشخصيّة، فكم بالحريّ أن يكون هذا العنوان أساساً لتوحيد صفوف القوميّين أنفسهم، حيث من البديهيّ أن يوحّدهم «وجدانهم» القوميّ في حزبهم الواحد وتحت راية مشروعهم النهضويّ الواحد، ليصحّ القول بامتداد مفعول هذا الوجدان إلى الأمّة كلّها. فأيّ كلام عن وجدان قوميّ وروحيّة قوميّة جامعة سيكون كلاماً في الهواء إذا لم يطبّق في الحلقة الضيّقة المدعوّة إلى أن تكون مثالاً للأمّة في وحدتها وعزّتها.

واشنطن... ثلاثة عقود من إخفاق الوساطة

لا يغيب عن بال آغا ومالّي أنّ السياسة الخارجيّة الأميركيّة انزلقتْ من فشل إلى فشل في معالجة حدث 7 أكتوبر، فمن قراءتها الخاطئة للواقع إلى تزييفها الوقائع، فكما فشلتْ في كامب ديفيد كرّرتْ فشلها مجدّداً، وعلى مدى ثلاثين عاماً، من اتّفاقيات ابراهام حتى الساعة، لا سيّما أن ترامب داوى عمى سياسته الخارجية بكحل انتهى مفعوله، ما أغاظ بصر الحكمة ونال من ثقة الرأي العام بها، فكان سياسته رفدت عمى القلب بعنجهيّة مطلقة، ما انتهى به إلى مقارعة أهل مضيق هرمز، فاصطادوه ولم ينجُ، وجرّ شعبَه إلى تهلكة هو في غنى عنها. يأتي كتاب آغا ومالّي في وقت نحن بحاجة فيه إلى توثيق صادق ومرجعي لمسار عمليّة السلام منذ أوسلو حتّى الساعة، لا سيّما أنّ الباحثيْن متّفقان على حقّ أهل فلسطين في إقامة دولة ديمقراطيّة يعيشون في كنَفها، والكتاب شهادة دامغة على ذلك من خبيريْن في مجالهما، إضافة إلى تحويلهما الكتاب إلى مصدر أساسي في تاريخ فلسطين المعاصر، وما اختصّ بنشأة حركة «فتح» عام 1958 وكان حسين آغا قد التحقَ بها عام 1968 وهو تلميذ في أميركيّة بيروت وقبل التحاقه بجامعة «أكسفورد».

حماية الذاكرة

من توابيت صور إلى قلاع جبل عامل: معركة لبنان على تراثه

استعادة لبنان لآثاره مسار طويل يقوم على المعاملة بالمثل والتعاون مع الدول المعنية. من توابيت صور التي استُعيدت من نيويورك إلى الآثار الفرعونية التي ستُسلّم إلى مصر، تواجه هذه العمليات تدقيقاً قانونياً وتقنياً قد يستغرق سنوات. لكن هناك صعوبة تكمن في إيجاد مكان لهذه الآثار، في ظل امتلاء المتحف الوطني وتعثر مشاريع المتاحف بسبب الأزمة الاقتصادية ومشكلة «اللولار».

وفي الجنوب، خاض لبنان معركة ديبلوماسية انتهت بإدراج خمس قلاع على لائحة التراث العالمي، في خطوة كرّست الاعتراف الدولي بلبنانيتها رغم الاحتلال والضغوط

غادة حداد

قد يبدو خبر استلام لبنان وتسليمه آثاراً بيعت بشكل غير قانوني، تفصيلاً عابراً في خضم ما يجري في لبنان والمنطقة. لكن وراء هذه العمليات مسار طويل من المتابعة والتدقيق والتعاون الدولي، يعكس، وفق ما يقول لنا وزير الثقافة غسان سلامة، إيمان الدولة بمبدأ المعاملة بالمثل. ويضيف: «إننا نسلّم عندما نجد، ونتوقع أن نسلّم عندما غيرنا يجد آثاراً لنا».

لا تسير عمليات الاسترداد دائماً بسهولة. في بعض الأحيان، يحصل تلكؤ من دول ترفض التسليم، بحجج مختلفة، منها عدم التأكد بأنّ مصدر القطع هو لبنان، أو عدم التأكد بأنها بيعت بطرق غير شرعية، ولا سيما أنّ هناك سوقاً شرعية لبيع الآثار. ويؤكد سلامة أن للبنان مصلحة في أن تُنفّذ اتفاقية عام 1970 حرفياً، لأننا بلد آثار»، في حين أن هناك دولاً لا تملك الكثير من الآثار ولا تحب أن تتقيد بالاتفاقية.

ولهذا، طلب سلامة من مدير عام اليونسكو، خلال زيارته الأخيرة إلى لبنان، أن يجمع الدول المعنية لإبرام اتفاقية أشد، مشيراً إلى أن لبنان ليس وحده في هذا المسار، بل معه دول مثل مصر والعراق.

توابيت صور والآثار الفرعونية

من أبرز عمليات الاسترداد الأخيرة، إعادة توابيت رصاصية مهربة تعود إلى مدينة صور، بعدما ضُبطت في نيويورك. كانت التوابيت قد عُرضت في مزاد علني في نيويورك، قبل أن ينبه شخص لبناني، من جامعي الآثار، السلطات اللبنانية إلى وجودها، فطُلب وقف عملية البيع. ويقول سلامة إنه يحق للبنان طلب وقف البيع في حال وجود شكوك، قبل أن يحقق مكتب التحقيقات الفيدرالي في القضية ويتوصل إلى أن القطع اشتريت من مواقع مشبوهة.

بعد ذلك، عملت السلطات اللبنانية على إثبات ملكية القطع وإثبات أن مصدرها لبنان. واستغرقت العملية قرابة سنتين، وهي مدة لا يعتبرها سلامة استثنائية في مثل هذه الحالات، إذ استغرقت الوزارة ست سنوات لتسلم المصريين القطع الفرعونية التي كانت قد وصلت إلى لبنان. ويؤكد سلامة أن لبنان يحاول أن يكون نموذجاً في تطبيق اتفاقية 1970، مشيراً إلى وجود نحو 8000 موقع أثري في لبنان، وإلى أن البلاد في حالة إيجاد دائم لآثار جديدة، ما يجعلها من أهداف التجارة غير المشروعة.

أما الآثار الفرعونية التي وجدت في لبنان، فقد اكتشفها لبنان نفسه عام 2020 ولم تكن مصر قد أبلغت عنها. وكان تاجر لبناني قد أتى بها من دبي، قبل أن تثير الشحنة الشبهات في المرفأ، فأوقفت وأُبلغت المديرية العامة للآثار بها. وبسبب الحرب وكورونا وكل ما حدث في البلاد، استغرقت عملية التأكد من أن القطع غير مزورة، وأنها اشتريت بطرق غير شرعية، وقتاً طويلاً. وبعدما أصبحت القطع في حيازة الدولة اللبنانية، باتت بحاجة إلى إذن من النيابة العامة التمييزية لتسليمها إلى طرف ثالث، مع التعليل.

هناك أيضاً قطع أخرى ضُبطت في المرفأ، مع وجود شكوك في أنها تعود إلى إحدى الدول العربية. وخلال العام الماضي، سلّم لبنان العراق بضائع، فيما استلم خلال السنوات الثلاثين السابقة قطعاً من عدد من الدول. أما في ما يخص الآثار اللبنانية الموجودة في الخارج، فهناك حالة واحدة موضع شك، وهي لا تزال في إطار المتابعة. وبحسب سلامة، فإن حالات تهريب وبيع الآثار بطرق غير شرعية، هي في معظمها حالات فردية أكثر منها عمليات تنفذها شبكات. وكان أحد أسباب تأخر تسليم القطع إلى المصريين الرغبة في التأكد من وجود شبكة وراء العملية، قبل أن يتبين أن من اشتراها كان رجل أعمال.

متاحف على طول البلاد

لن توضع الآثار التي استعادها لبنان في المتحف الوطني، بل في مستودعات، لعدم قدرة المتحف على استقبال قطع جديدة. وبسبب الكلفة المرتفعة للمتاحف، والوضع الاقتصادي الصعب للبنان، يعمل سلامة على مبدأ جديد هو «المخازن المفتوحة»، حيث توضع القطع في أماكن يمكن رؤيتها فيها، بدلاً من أن تبقى مخزّنة داخل مستودعات مغلقة. ويعمل سلامة مع اليونسكو على إنشاء مخزن مفتوح في جبيل للآثار التي اكتُشفت وعُرضت في «معهد العالم العربي» في باريس، ضمن معرض «بيبلوس: مدينة عريقة». وهناك أيضاً مخزن في عرقة في عكار، انتهى تشييده وبدأت عملية تجميع الآثار من بعض مناطق الشمال. ولأن الأراضي ليست باهظة الثمن هناك، استملكت الدولة أراضي واسعة لبناء المتحف.

كما تسعى الوزارة إلى استكمال العمل في متحفي صيدا وصور. وكان من المفترض أن يكون لبنان قد أنهى العمل فيهما لولا أزمة «اللولار». فمتحف صور منتهٍ بنسبة 80 في المئة، فيما بلغ إنجاز متحف صيدا نحو 50 في المئة. كما تضرر مدخل متحف صور جراء القصف الإسرائيلي.

الأعمال في متحفي صيدا وصور لن تتوقف رغم الحرب، لكن العقبة الأساسية تبقى مشكلة «اللولار». فالهبة الإيطالية الخاصة بمتحف صور وصلت عام 2018، إلا أن مصرف لبنان حوّل الأموال المودعة بالدولار إلى «لولار»، فيما يرفض الطرف الإيطالي استكمال التمويل ما لم تُعد الأموال إلى الدولار. وفي صيدا، استؤنف العمل بالمتحف، وهو ممول من الكويت، لكن المشكلة أن كل التمويل الكويتي الذي يأتي إلى لبنان حُوّل إلى إعادة ترميم الأهراءات، بعدما كانت الكويت هي التي مولت الأهراءات في الستينيات.

وضمن عمله، كُلّف سلامة بأن يكون ضمن اللجنة التي تفاوض شركة سوليدير لبناء المتحف الأثري لمدينة بيروت، الذي وضع مخططه المهندس الإيطالي رينزو بيانو. وسيُشيّد المتحف مقابل جريدة «النهار»، فوق الموقع الأثري، على أن تكون أرضيته زجاجية تسمح برؤية الآثار. وفي حال تحسنت الأوضاع وانتهت الأعمال في متحفي صيدا وصور، ونُفذ مستودع جبيل، وحصل لبنان على قاعات إضافية في المتحف الموجود في قلعة طرابلس، إلى جانب مستودع عرقة، يمكن عندها تخفيف الضغط عن المتحف الوطني.

اعتراف دولي بلبنانية قلاع جبل عامل في الجنوب

خاض لبنان معركة أخرى على مستوى التراث والسيادة، بعدما صُنفت خمس قلاع في الجنوب على لائحة التراث العالمي. ويصف سلامة هذه المعركة بأنها «أجمل معركة ديبلوماسية»، لأن الهدف كان إثبات سيادة لبنان وتثمين القلاع الخمس. إلى جانب تعريف اللبنانيين بتراث جبل عامل.

يستعرض سلامة الواقع المختلف للقلاع الخمس. فقلعة شمع مدمرة ومحتلة. أما قلعة شقيف، فهي محتلة، لكنها غير مدمرة، ولم تحدث التفجيرات الإسرائيلية الأخيرة أضراراً فيها. أما قلعة شقرا ـ الدوبية، فهي تقع تحت نيران الاحتلال لكنها غير محتلة، فيما لا تزال قلعة دير كيفا محمية، وكذلك قلعة تبنين، وإن كانت مواقع قريبة منها قد أصيبت.

أحدث تصنيف هذه القلاع سابقة قانونية عبر وضع أماكن محتلة على لائحة التراث العالمي. وحاول الإسرائيليون منع هذا التصنيف، عبر حلفائهم لأنهم غير موجودين في لجنة التراث العالمي، بالقول إنه يجب «دراسة الوضع الراهن لهذه الأماكن»، من دون العودة إلى تاريخها، فيما أن وضعها الحالي متنازع عليه. لكن موقف الوزارة كان أن هذه مواقع لبنانية، وأن واقع احتلالها يشكل إضافة إلى إثبات لبنانيتها.

تضم لجنة التراث العالمي 21 دولة. وعمل الإسرائيليون على الضغط عبر ثلاث دول، لم يشأ سلامة تسميتها، مقربة من الاحتلال. وتمكن من إقناع دولتين بأحقية لبنان، فيما بقيت دولة أوروبية واحدة إلى جانب الاحتلال. فقام الاحتلال باستدعاء وزير خارجية هذه الدولة للضغط عليه كي يثبت على موقفه، فيما كان يعمل على دول أخرى حتى لا تبقى هذه الدولة وحيدة في موقفها. وبعد أن بقيت الدولة الأوروبية وحدها، اتصلت بوزير الخارجية وأبلغته أنها أصبحت وحيدة، فاقترح عليها أن تطلب التصويت بالتوافق. احتاجت العملية إلى ثلاثة أشهر من العمل، لكنها انتهت لصالح لبنان.

ويؤكد سلامة إمكانية ترميم قلعة شمع. ولدى الوزارة صور للقلعة، لكنها غير كافية، لذلك يحاول الحصول على صور أوضح من النازحين ومن اليونيفيل. وما يحزن، في واقع شمع، أن التدمير لم يحصل بالقصف، بل بعد احتلالها، حين «عاثوا فساداً في القلعة». كما يضع التصنيف الدولي عقبة قانونية أمام تدمير باقي القلاع. وتم الاتفاق بين سلامة ونائب رئيس مجلس الوزراء طارق متري، على أن يضم الملف الدولي للقانون الإنساني الذي سيقدمه لبنان إلى منظمة حقوق الإنسان، فصلاً خاصاً بالمواقع الأثرية والأبنية التراثية، باعتبارها مكونات من الهوية المحلية واللبنانية، وجزءاً من جرائم الحرب. ويشمل ذلك أيضاً البيوت التاريخية والتراثية في الجنوب.